المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن للشعر سلطاناً على القلوب، وسطوةً على النفوس، وأثراً في نجاح البغية، وبلوغ المأرب.

كما أن له تأثيراً في تغيير الطباع، وإنهاض النفوس، وهَزِّها إلى المكارم.

فالشعر أحد الفنون الجميلة التي يتذوقها الناس، ويستشهدون بها، ويتروَّونها، ويكون لها الأثر البالغ في نفوسهم، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك على قدر تفاوتهم في صفاء الذوق، وتقدير ما في المعاني من حكمة، وغرابة، وحسن التئام، أو تقدير ما في الألفاظ من رونق، وحسن سبك، وشدةِ أَسْرٍ، وجودة تركيب.

ولقد أجمع العلماء على أن الشعر كلامٌ حَسَنُهُ حَسَنٌ، وقبيحه قبيح.

ثم إنهم لا يحبذون التمحُّض للشعر، بحيث يغلب على الإنسان، ويأخذ بمجامع قلبه.

وإنما يستحسنون الإحماض فيه، والاستشهاد به، وأن يكون الاهتمام به ثانوياً لا أولياً.

وكانوا يرتاحون لسماع جيده، ويصرفون شيئاً من أوقاتهم في صناعته، أو تذوق بلاغته.

وما ذلك إلا لشدة تأثيره، وتَضَمُّنِه للحُكْمِ والحكمة.

جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من الشعر حِكْمَة**»[1].

---

(١) البخاري (٦١٤٥).

ويروى: «**لَحُكْماً**» كما في سنن أبي داود[١].

أي إن من الشعر كلاماً نافعاً يَحْمِلُ على الحلم، والعلم، والعدل، والكرم، ويمنع من الجهل، والسفه، والظلم، والشح، والبخل، والهلع.

وقيل: أراد بها المواعظ، والأمثال التي ينتفع بها الناس[٢].

ولقد خرج النبي ﷺ في بيئة عربية تتنافس في نظم القصيد، والرَّجَزِ؛ فكان من دواعي إعجابها، واغتباطها ما كان يفيض من قرائح شعرائها، وخطبائها في المفاخرات، والمنافرات، والحَمَالات، والمهادنات.

وما كان لكل عربي أن ينفتق لسانه بقول الجيد من الشعر أو النثر؛ فقد يأتي الجيل والجيلان والقبيلة العظيمة لا يظهر فيها شاعر أو خطيب يعلي صوتها، ويعدد من عام إلى عام مآثرها، ويرفع -بما ينشؤه- الضيم عن أهلها، ويُرهب -بسلطان بلاغته- عدوَّها.

ولقد كان الشعر آنذاك أشبه بوسائل الإعلام في عصرنا الحاضر؛ فكان له صولةٌ وجولةٌ، ونفوذٌ ووقعٌ في النفوس؛ فكان يخلد المآثر، ويبين المروءات والمكارم.

ولقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة؛ فكان للشعراء نصيب عنده -عليه الصلاة والسلام- وذلك من خلال توجيهه إياهم، واستماعه لهم، واستنشادهم شِعْرَهم، وحَضِّهم على نصرة الإسلام، والدفاعِ عنه، وبيانِ محاسنه؛ فكان يشجعهم، ويسددهم، ويدعو لهم، ويكافؤهم، ويستشهد بشعرهم، وربما استوقفهم وناقشهم.

وله في حواراته مع الشعراء أخبار يطول ذكرها.

وربما تمثَّل بالشعر في مجلسه؛ ففي الصحيحين عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: أصابت أصبعُ النبي ﷺ شيئاً، فدَمِيت.

---

(١) سنن أبي داود (٥٠١١ و ٥٠١٢).

(٢) انظر سنن أبي داود (٥٠١٢)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٠٢٣.

وفي لفظ: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في بعض المشاهد إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت أصبعه فقال:

هـــل أنـــت إلا أَصْـــبُعٌ دَمِيـــت وفي ســـبيل الله مـــا لقيـــت[١]

وعن عكرمة قال: سألت عائشة -رضي الله عنها-: هل سمعت رسول الله ﷺ يتمثل شعراً قط؟

فقالت: أحياناً إذا دخل بيته يقول: «**ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ**».[٢]

وقوله: «**ويأتيك بالأخبار من لم تزود**» هذا عَجُزَ بيتٍ لطرفة ابن العبد في معلقته المشهورة، وصدره:

ستبدي لك الأيـام مـا كنـت جـاهلاً .....

وهكذا كان شأن كثير من السلف -رضي الله عنهم- قال ابن عباس -رضي الله عنهما- كان أبو بكر كثيراً ما ينشد:

إذا أردت شريـــف النـــاس كلِّهـــم فـــانظر إلى ملـــك في زي مـــسكين

ذاك الـذي حَـسُنت في النـاس قالَتُـه وذاك يـــصلح للـــدنيا وللـــدين[٣]

أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فلقد كان نَقَّادة بصيراً بالشعر، له فيه الآراء الفاحصة، والنظرات الثاقبة، والأحكام الصائبة.

قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال: «كان عمر بن الخطاب ﷺ لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر».[٤]

---

(١) البخاري (٥٧٩٤) ومسلم (١٧٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٩٢) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٠٨): «صحيح».

(٣) انظر غُرَر الخصائص للوطواط ص ٣٦.

(٤) البيان والتبيين ١/ ٢٤١.

وكان ﷺ يُعْجَبُ بزهير، ويفضله على غيره، وكان يتمثل بقوله:

فـــإن الحـــق مقطعـــه ثـــلاثٌ يمـــين أو نفـــارٌ أو جـــلاء

يريد ثلاث خصال؛ فمنها نفار: أي تنافرٌ إلى رجل يتبيَّن حجج الخصوم، ويحكم بينهم، ومنها يمين، ومنها جلاء: وهو أن ينكشف الأمر، ويتجلى، فَتُعْلَمَ حقيقته، فَيُقْضَى به لصاحبه دون خصام ولا يمين.

فكان عمر ﷺ يتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق -كما يقول النويري-.[1]

وقال ابن هشام ﷺ : «لما سمع عمر ﷺ قول زهير:

فـــإن الحـــق مقطعـــه ثـــلاثٌ يمـــين أو نفـــارٌ أو جـــلاء

قال: «لو أدركته لولَّيته القضاء؛ لمعرفته ما تثبت به الحقوق»[2].

قال ابن رشيق القيرواني: «وسمي زهير قاضيَ الشعراء بهذا البيت»[3].

وبعد فهذه توطئة، ومدخل بين يدي هذا الكتاب الصغير في حجمه، الكبير في مضمونه، الفريد في بابه، النادر في موضوعه.

ذلك الكتاب الذي رقمته يراعة العلامة اللغوي الكبير أحمد بن فارس ﷺ.

وهو يدور حول الاستشهاد بالشعر، وذلك بذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مقامات مختلفة.

وقد ساقه ابن فارس في معرض حسن خلاب، وأسلوب أدبي جذاب.

والباعث إلى العناية بهذا الكتاب، والحرص على نشره أمور منها ما يلي:

١- لفت الأنظار إلى كتاب (أبيات الاستشهاد)، والرغبة في أن يأخذ حظه من

---

(١) انظر نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص١٧٧.

(٢) انظر شرح (بانت سعاد) لابن هشام ص ١٦، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٣٤٢.

(٣) العمدة لابن رشيق ١/ ٥٤.

الذيوع والانتشار.

٢- الرغبة في شرح ما قد يشكل مما ورد في ذلك الكتاب.

٣- إضافة ما يتيسر إضافته مما يناسب الاستشهاد به؛ ذلك أن ابن فارس لم يقصد بكتابه الاستقصاء، وإنما قصد التمثيل؛ فالذي تركه أكثر بكثير مما أورده.

ثم إنه مِن علماء القرن الرابع الهجري، وقد جدَّت بَعْدَه ثقافاتٌ وآداب؛ فكان فيها الكثير مما يصلح لمزيد من الاستشهاد لما ورد ذكره من المضارب في تلك الرسالة اللطيفة الماتعة.

٤- أن الاستشهاد بالشعر مَهْيَعٌ مسلوك؛ حيث كان أفاضل الناس وأكابرهم قديماً وحديثاً يأخذون به إذا عرض لهم ما يعرض.

وقد مرَّ قبل قليل نماذج من ذلك.

ومما يذكر -أيضاً- في هذا السياق أن عمرو بن العاص قال لمعاوية -رضي الله عنهما- لقد أعياني يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان، فقال معاوية:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصةٌ وإلا تكن لي فرصة فجبان

وكان معاوية ﷺ كثيراً ما ينشد:

إنَّا إذا مالتْ دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واعتلج الناس بألبابهم نقضي بحكم عادل فاصل
نخاف أن تَسْفَهَ أحلامنا فنخملَ الدهرَ مع الخامل[1]

وأراد المأمون يوماً الخروج للغزو، فوقفت له جارية من جواريه بالباب، وقالت: قتلتني يا سيدي؛ تريد ثَنْيَهُ عن الغزو؛ فأنشد قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

(١) انظر أسرار الملوك للطرطوشي ص ٧٦.

ثم تولى عن الجارية، وسار إلى الغزو[١].

ومر الشعبي رحمه الله بقوم يشتمونه، فتمثل بقول كثير عزة:

هنيئـــاً مريئـــاً غـــير داء مخـــامر لعـــزة مـــن أعراضـــنا مـــا اســـتحلتِ

أســـيئي بنـــا أو أحـــسني لا ملومـــة لـــــدينا ولا مقليـــــة إن تقلَّـــــتِ[٢]

وأذن يزيد بن عمر بن هبيرة للناس، فدخلوا عليه في يوم شديد الحرِّ، وعليه قميص خلق مرقوع الجيب؛ فجعلوا ينظرون إليه، ويعجبون منه؛ ففطن لهم، فأنشد:

قـــد يُـــدْرك الـــشرفَ الفتـــى ورداؤه خَلِـــقٌ وجيـــب قميـــصه مرقـــوع[٣]

ودخل الشيخ عبدالرزاق الشيبي -سادن بيت الله الحرام- على الحسن بن أبي نمي -شريف مكة- يستأذنه في السفر، وركوب البحر، فأنشده الشريف قول الطغرائي من لاميته:

فِـيمَ اقتحامُـك لُـجَّ البحـر تركبـه وأنـت تكفيـك منـه مَـصَّةُ الوشـل

فأنشده الشيخ عبدالرزاق الشيبي على البديهة:

أريـــد بَـــسْطَةَ كـــفٍّ اســـتعين بهـــا عـــلى قـــضاء حقـــوق للعـــلا قـــبلي

فأمر له الشريف بقضاء دينه، وأمر له بألف أحمر، وترك الشيخ السفر.[٤]

٥- أن مادة هذا الكتاب مما يحتاج إليه الكاتب، والخطيب، والمتكلم، وغيرهم

---

(١) انظر القصة بتمامها في الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي لأبي الفرج المعافى الجريري ١/ ٤٢٥-٤٢٧.

(٢) بهجة المجالس لابن عبدالبر ٢/ ٢٣٦ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خَلِّكان ٦/ ٣٢٠ .

(٤) انظر هكذا علمتني الكتب لمحمد بن سعود الحمد، ص ٩٠-٩١ .

ممن يريد الارتقاء بقلمه، ومَنْطِقِه، وخلقه.

٦- أن هذا الكتاب نوع من التأليف لطيف، ولم يسبق -فيما أعلم- أن أفرده أحد من أهل العلم أو الأدب قبل ابن فارس.

ولا يعني ذلك أن هذه المادة لا توجد البتة، بل إنها مبثوثة متناثرة في غضون كتب الأدب، والتواريخ، والسير، غير أن جمعها على نحو ما جاء في رسالة ابن فارس لم يكن معروفاً.

٧- أن الاطلاع على مثل هذا الكتاب مما يقوي العارضة، ويثبت الحجة، ويوسع المدارك، ويعين على حسن الاستشهاد، وإيقاع الكلام في أحسن مواقعه.

٨- أن الذي يُحسن الاستدلال والاستشهاد يَكْبُر في عيون ذوي الفضل، قال ابن فارس رحمه الله في ختام هذا الكتاب: «وهذه جمعية لم أظفر بمثلها؛ فرحم الله من فهمها وحفظها، وأورد كل بيت في محله؛ لِيجِلَّ عند خِلِّه».(١)

٩- أنه صدر من إمام عالم لغوي أديب نَقَّادة، وذلك مما يضفي على الكتاب قوة وقبولاً.

١٠- أن هذه المضارب، والشواهد التي أوردها ابن فارس تحتوي على تجارب نافعة، ولفتات تربوية بارعة، سواء في الصداقة، أو في تقلب الأحوال، أو في تدبير المعيشة، أو في حسن التعامل مع الناس، أو الترغيب في مكارم الأخلاق، أو التحذير من مساوئها، أو نحو ذلك؛ فهي مما يمكن إدراجه ضمن الشعر التعليمي، أو التعليم والتربية بالشعر، أو التدرب على تنزيل الشعر منازله.

١١- أن للشعر أثره البالغ في النفوس -كما مر- فكثيراً ما ينهض الرجل للعمل الصالح يكون في غفلة عنه، وما ينبهه إلا بيت شعر يحتوي على حكمة، ويستشهد به في حينه.

---

(١) نوادر المخطوطات ١/ ١٧٧.

قال ابن جريج رحمه الله: «ما ظننت أن الله -عز وجل- ينفع أحداً بشعر عمر ابن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

بـــالله قـــولي لـــه في غـــير مَعْتَبَـــةٍ مـــاذا أردتَ بطـــول المُكْـــثِ في الـــيمن
إن كنـتَ حاولـت دنيـا أو نَعِمْـتَ بهـا فـما أخـذتَ بـترك الحـج مـن ثمـن

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجت مع الحاج وحججت»[1].

وجاء هذا الخبر في وفيات الأعيان أن ابن جريج قال: «كنت مع معن بن زائدة باليمن فحضر وقت الحج، ولم تحضرني نية، فخطر ببالي قول عمر ابن أبي ربيعة المخزومي:

بـــالله قـــولي لـــه في غـــير مَعْتَبَـــةٍ مـــاذا أردت بطـــول المكـــث في الـــيمن
إن كنتَ حاولـتَ دنيـا أو نَعِمْـتَ بهـا فـما أخـذتَ بـترك الحـج مـن ثمـن

قال: فدخلت على معن، فأخبرته أني قد عزمت على الحج، فقال لي: ما يدعوك إليه ولم تكن تذكره؟

فقلت: ذكرت بيتين لعمر بن أبي ربيعة، أنشدته إياها، فجهزني، وانطلقت»[2].

ويقول الدكتور عبدالوهاب عزام رحمه الله: «كان لي صديق أيام الشباب؛ فصلينا معاً مرة، فاقتصر على الفرض، ولم يصلِّ السنة، فأنشدته بيت المتنبي:

ولم أرَ في عيـــوب النـــاس شـــيئاً كـــنقص القـــادرين عـــلى الـــتمام

فكان يقول لي مِنْ بَعْد: كلما هممت بترك السنة تذكرت بيت صاحبك؛ فصليتها»[3].

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١/ ١١١-١١٢.
(٢) وفيات الأعيان لابن خَلِّكان ١/ ٥١٢.
(٣) الشوارد د. عبد الوهاب عزام ص٢٨٤.

فلهذه الأسباب وغيرها انبعثت الرغبة إلى العناية بهذا الكتاب.

أما خُطة هذا الكتاب فقد اشتملت على هذه المقدمة، وقسمين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة: وقد اشتملت على ما يلي:

- مكانة الشعر، وأثره.
- بيان شيءٍ مما ورد في السيرة النبوية، وسيرة السلف بشأن الشعر.
- تعريف موجز بكتاب أبيات الاستشهاد.
- الباعث على نشر كتاب (أبيات الاستشهاد).
- عمل الباحث في إخراج هذا الكتاب.

القسم الأول: دارسة لابن فارس وكتابه (أبيات الاستشهاد) وتحته فصلان:

الفصل الأول: ترجمة لابن فارس، وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته.

المبحث الثاني: علوم ابن فارس وتلاميذه.

المبحث الثالث: آثار ابن فارس.

المبحث الرابع: شعر ابن فارس، ونظراته في النقد والأدب.

الفصل الثاني: دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد).

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثالث: متن كتاب (أبيات الاستشهاد).

القسم الثاني: شرح كتاب (أبيات الاستشهاد).

الخاتمة: وتتضمن ذيلاً لأبيات الاستشهاد، حيث ذُكِرَ فيها مضارب كثيرة،

وشواهد عليها على نحو ما ذكره ابن فارس؛ تتميماً للفائدة.

هذه -بإجمال- هي الخطة التي سيسير عليها هذا الكتاب.

أما عملي في الشرح فيتلخص فيما يلي:

١- اعتمدت على النسخة التي حققها العلامة عبدالسلام هارون رحمه الله فهي -كما يقول- نسخة فذة في العالم، وسيأتي الحديث عنها عند التعريف بالكتاب.

٢- إثبات متن الكتاب مجرداً، وذلك في الفصل الثاني من القسم الأول؛ لتسهل قراءته مجردة لمن أراد ذلك، ثم كتابتُه مرة أخرى في الفصل الثاني؛ لأجل الشرح؛ حيث يُكْتَبُ المتن في أعلى الصفحة، ثم توضع عليه الحواشي والتعليقات في أسفل الصفحة.

٣- ترقيم المضارب التي اسْتشهد عليها ابن فارس بالأبيات، مثال ذلك قوله: «وكان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عهدُه، أنشدَه:

ليس الخليلُ على ما كنتَ تَعهدُه ... قد بَدَّل الله ذاكَ الخِلَّ ألوانا[1]

يوضع قبل هذا المضرب رقم (١) هكذا: ١- وكان إذا رأى ذا مودة... الخ

وهكذا البواقي؛ لأن أصل الكتاب جاء بدون ترقيم، والترقيم ييسر فهم المقصود، ويَفْصِلُ كُلَّ مضربٍ عن غيره.

وهذا الترقيم خاص بالمتن المشروح دون المتن المجرد.

٤- الإفادة من تعليقات العلامة عبدالسلام هارون على أصل الكتاب، وتمييز ما ينقل عنه بتذييله بحرف (هـ).

٥- عزو أبيات الأصل إلى قائليها في الحاشية، وقد عزوت أكثرها إلى قائليها، أو مصادرها بحسب ما تيسر لي من البحث والاطلاع.

---

(١) نوادر المخطوطات ١/ ١٥٥.

وأما الباقي فلم أجده بحسب ما اطلعت عليه من المصادر.

وقد تكون موجودة في مصادر أخرى لم أطلع عليها، ولا يبعد أن تكون تلك الأبيات من مَقُول بعض معاصري ابن فارس الذين لم يكن لهم حظٌّ من الشهرة.

وقد تكون من مقول ابن فارس نفسه، فهو -كما سيأتي- أديب وشاعر.

٦- شرح أبيات الأصل، وذلك بذكر بحورها الشعرية، وتحليل ألفاظها، ثم التعرض لبيان معنى البيت، ومناسبته، وتَعَلّقه بالمضرب.

٧- زيادة أبيات تصلح للاستشهاد لما ذكره ابن فارس في الأصل، وعزوها لقائليها ما أمكن، وإلا ستورد بدون عزو؛ لأن أكثرها مما يَمُرُّ بي، أو مما أحفظه دون أن أعرف قائله.

كذلك لن تعزى تلك الشواهد إلى مصادرها، للسبب ذاته، ولأجل ألا يكبر حجم الكتاب؛ إذ الأبيات التي أُوْرِدَتْ شواهدَ على الأصل كثيرة؛ لذا لن يعزى منها إلا ما كانت له مناسبة، أو يدور حوله تعليق، أو إشكال، أو خلاف، أو قصة.

ثم إن الأبيات التي ستورد تكاد تكون مما جرى مجرى الأمثال؛ فكانت العبرة بعموم لفظها، لا بخصوص سببه.

٨- إيرادُ بعض اللطائف والملح التي تتعلق ببعض المضارب والشواهد.

ورغبةً في ألا يثقل الكتاب كثيراً لم أشأ الإطالة في الشرح؛ لئلا يخرج الكتابُ عن مساقه، وإلا فإن الاستطراد، والإطالة لا يخلوان من فائدة -كما هو صنيع بعض الشرَّاح-.

غير أن هذه الطريقة قد تَخْرج بالموضوع عن أصله، وقد تُوصِل إلى حدِّ الإملال.

وإنما كان الحرص على إيراد الشواهد؛ ليتسنى فهم المقصود، ولأجل أن تُلحق بنظائرها، وتنزل منازلها.

فهذا -تقريباً- هو مجمل ما سيسير عليه العمل في إخراج هذا الكتاب، والله المستعان، وعليه التكلان.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر الله -عز وجل- على تيسيره، وإعانته، وأسأله القبول، والإخلاص في القول والعمل، كما أسأله -جلت قدرته- أن يغفر لابن فارس، ويرفع درجاته، ويجزيه عن العلم وأهله خير الجزاء.

كما أسأله -تبارك وتعالى- أن يجزي خير الجزاء كلَّ من أعان على إخراج هذا الكتاب مراجعة، أو تصحيحاً، أو مشورة؛ والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي: ص.ب: ٤٦٠
١٤٣١/٨/١٩هـ
جامعة القصيم ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
www.toislam.net
alhamad@toislam.net

القسم الأول

دراسة لابن فارس وكتابه

(أبيات الاستشهاد)

وتحته فصلان:

الفصل الأول: ترجمة ابن فارس

الفصل الثاني: دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد)

الفصل الأول

ترجمة ابن فارس

وتحته:

المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته

المبحث الثاني: علوم ابن فارس، وتلاميذه

المبحث الثالث: آثار ابن فارس

المبحث الرابع: شعر ابن فارس، ونظراته في النقد والأدب

المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته

أولاً: مولد ابن فارس ونشأته: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد ابن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس.

ولد في أوائل القرن الرابع الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراجم الأقدمين تاريخاً محدداً لميلاده، لكنه -كما ذكر بعض الباحثين المحدثين- يدور حول عام ٣١٢هـ.

وقد ولد بقزوين، ونشأ بَهَمَذَانَ، وكان أكثر مقامه في الري، لكنه رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وكان أبوه فقيهاً شافعياً لغوياً، روى عنه ابنه أبو الحسين في مقاييس اللغة، وفي الصاحبي، ومتخير الألفاظ، واللامات.

والرازي نسبة إلى الري، والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند النسبة إلى مرو الشاهجان[1].

ويؤكد بعض الباحثين أنه من أصل عربي، وينفي أن يكون أعجمياً، يقول الأستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه لكتاب متخير الألفاظ لابن فارس: «وقد زعم بعضهم أنه من أصل أعجمي، وهو وَهْمٌ لا دليل عليه، غير ما قيل من أنه كان يتكلم بلسان القزاونة، والواقع أن إيران في القرون الإسلامية الأولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت أيام الفتوح واستوطنتها، وليس في سلسلة

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/ ٨٢ و ٣٨ و ٢١٨، والعبر للذهبي ٢/ ٣٣٢ و٣٦٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٥٢، وإنباه الرواة للقفطي ١ . ٩٥، وانظر مقدمة متخير الألفاظ لابن فارس حققه وقدم له الأستاذ هلال ناجي ص ١٤-١٥.

نسب ابن فارس، اسم غير عربي، فإذا أضفنا لذلك أن تَكَلُّمه بلسان القزاونة أمر طبعي تمليه ظروف المجاورة للسكان الأصليين اتضح أن لا دليل يدعم زعم الزاعمين أنه غير عربي، بل العكس هو الصحيح؛ ذلك أن ابن فارس كان شديد العصبية للعربية في عصر استفحلت فيه دعاوى الشعوبيين، يكشف عن ذلك كتابه الصاحبي في فقه اللغة، وهو تعصب يمليه الانتساب إليهم على الأغلب.

وبالإجمال فإن انتسابه للعرب أقرب للصواب في رأينا»[1].

وعلى كل حال فأيّاً كان انتسابه فذلك لا يضير؛ فحبه للعربية، وعصبيته لها نابع من حبه للإسلام، ولغته، وأهله.

والإسلام دين الناس كافة، ومن خالطت بشاشتُه قلبه - أحبه، وأحب لغته، ورسوله ﷺ.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً من أحوال أئمة الإسلام والعربية من غير العرب.

ثانياً: شيوخ ابن فارس: أخذ ابن فارس العلم عن كثيرين منهم:

١- والده فارس بن زكريا ت٣٦٩هـ وقد مرَّ الحديث عنه.

٢- علي بن إبراهيم بن سلمة القطان ٢٥٤-٣٤٥هـ.

٣- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ت ٣٦٠هـ.

وغيرهم كعلي بن عبدالعزيز المكي، وأحمد بن الحسن بن الخطيب.

وممن سمع منهم أبو أحمد بن أبي الثيار، وعبدالرحمن بن حمدان، وأحمد بن محمد بن بُندار، وعلي بن محمد بن مهرويه، وغيرهم كثير[2].

---

(١) مقدمة كتاب متخير الألفاظ لابن فارس ص٩-١٠.

(٢) انظر معجم الأدباء ٤/ ٨٢ و ٣٨ و ٢١٨ ، والعبر للذهبي ٢/ ٣٣٢ و ٣٦٧، وبغية الوعاة للسيوطي ١/ ٣٥٢، وإنباه الرواة ١ . ٩٥، وانظر مقدمة متخير الألفاظ ص ١٤-١٥.

ثالثاً: وفاة ابن فارس: أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥هـ على الرأي الصحيح كما رَجَّحَ ذلك العلامةُ عبدُالسلام هارون رحمه الله وغيره.

وروى أكثر من ترجم له أنه قال قبل وفاته بيومين:

يـا رب إن ذنـوبي قـد أحَطـتَ بهـا علـمـاً وبيْ وبـإعلاني وإسراري
أنـا الموحـد لكنـيْ المُقِـرُّ بهـا فهـب ذنـوبي لتوحيـدي وإقـراري[1]

رابعاً: أخلاق ابن فارس: امتاز ابن فارس بأخلاق العلماء حقاً، فقد كان رحمه الله ورعاً تقياً شديد التواضع، وفياً لأساتذته، براً بهم، أميناً في النقل عنهم.

وتتضح هذه الخصلة الطيبة حين يقول في كتابه (الصاحبي): «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مُفَرَّقٌ في أصناف مؤلفات المتقدمين -رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء-.

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»[2].

يقول هذا مع أن كتاب (الصاحبي) من أعظم ما أُلِّف في بابه، بل هو البداية الحقيقية لعلم فقه اللغة -كما سيأتي بيانه-.

وكان جواداً كريماً لا يكاد يرد سائلاً، حتى إنه كان يهب ثياب جسمه، وفرش بيته.

قال ابن الأنباري: «وكان له صاحب يقال له أبو العباس أحمد بن محمد الرازي

---

(١) انظر معجم الأدباء ٤/ ٨٠، والمزهر للسيوطي ١/ ٤١٤، وبغية الوعاة، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٠٠، ومقدمة معجم المقاييس تحقيق عبدالسلام هارون ١ / ١٠ .
(٢) الصاحبي ص٢٠ .

المعروف بالغضبان، وسبب تسميته بذلك أنه كان يخدمه ويتصرف في بعض أموره، قال: فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه؛ فيضحك من ذلك، ولا يزول عن عادته.

فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب علمت أنه قد وهبه؛ فأعبس، وتظهر الكآبة في وجهي؛ فيبسطني ويقول: ما شأن الغضبان؟ حتى لحق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني به»[1].

(١) نزهة الألباب للأنباري ص ٣٢١-٣٣٢، وانظر مقدمة معجم مقاييس اللغة ١/ ٨-٩.

المبحث الثاني: علوم ابن فارس، وتلاميذه

أولاً: علوم ابن فارس: أما علومه فكانت متنوعة شاملة لا سيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف في فروعها، وشهر بها؛ ودعي بـ: اللغوي.

ويرجع ذلك إلى مؤلفاته القيمة التي كان لها أثر كبير في الدراسات اللغوية.

وكان صاحبَ عقلية جبارة، وموهبة فذة مُبْتَكِرَةٍ، وقد شهد له بذلك الكثير من القدامى والمُحْدَثين، كالثعالبي، وابن خلكان، والصاحب بن عباد، وعبدالسلام هارون، وغيرهم.

وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك بن أنس.

ومن أخباره في ذلك: «أنه كان يناظر في الفقه، فإذا وجد فقيهاً أو متكلماً أو نحوياً كان يأمر أصحابه بسؤالهم إياه، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه، فإن وجده بارعاً جره في المجادلة إلى اللغة؛ فيغلبه بها.

وكان يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة، ويلقي عليهم مسائل ذكرها في كتابه (فتيا فقيه العرب) ويخجلهم بذلك؛ ليكون خجلهم داعياً إلى حفظ اللغة، ويقول: «من قصر علمه عن اللغة وغولط غلط».[1]

ومن عجائب أخباره أنه كان شافعي المذهب، ثم صار مالكياً في سنواته الأخيرة، قال: دخلتني الحمية لهذا البلد -يعني الري- كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول على جميع الألسنة.[2]

---

(١) إنباه الرواة ١/ ٩٤.

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/ ٨٣-٨٤.

وفي نزهة الألباء أنه قال حين غير مذهبه: «وصلتني الحمية لهذا الإمام المقبول القول على جميع الألسنة أن يخلو مثل هذا البلد -يعني الري- عن مذهبه فعمرت مشهد الانتساب إليه، حتى يكمل لهذا البلد فخره؛ فإن الريَّ أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في تضادها وكثرتها».[1]

أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين؛ فقد أجمع الذين ترجموا له على ذلك.

ويؤيد ذلك أنه يرجع إلى أحمد بن يحيى ثعلب إمام نحاة الكوفة، وسواه من أئمة الكوفة كالفراء، والمفضل الضبي، والكسائي، وأبي عبيد القاسم بن سلام.

كما كان يستخدم مصطلحات الكوفيين النحوية كالخفض، والنَّسَق، والنعت مكانَ الجر، والعطف، والوصف عند البصريين.

وكما كان كوفياً في منهجه النحوي فهو كذلك كوفي في منهجه اللغوي، ويقول بما قال به الكوفيون في ذلك.

وبالرغم من كونه كوفيَّ المذهب في النحو واللغة فإنه لم يكن متعصباً للكوفيين، بل كان سمحاً يستشهد بكلام البصريين، ورواياتهم؛ فهو كثير الرواية عن الخليل، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، وكلهم بصريون.

ومما يدل على ذلك -أيضاً- أن أكثر العلماء تأثيراً في بعض مؤلفاته ثلاثة:

أولهم بغدادي، وهو ابن السكيت، وتأثير كتابه (الألفاظ) ظاهر في كتاب (متخير الألفاظ لابن فارس).

وثانيهم كوفي، وهو ثعلب، ويبدو تأثيره في كتاب (الصاحبي) لابن فارس.

وثالثهم بصري، وهو ابن دريد، ويبدو تأثير كتابه (الملاحن) في كتاب فتيا

---

(١) انظر نزهة الألباء للأنباري ص٣٢١.

فقيه العرب لابن فارس[١].

ثم إن ابن فارس لم يكن من العلماء المنزوين على أنفسهم، المكتفين بمجالس العلم والتعليم، بل كان مُتَّصلاً بالحياة أكمل اتصال، مادّاً بسبب إلى نواحٍ شتى.

وسيتضح شيء من تبحره في العلم، وتفنُّنه في شتى ضروبه عند الحديث عن آثاره.

ثانياً: تلاميذ ابن فارس: تتلمذ على يد ابن فارس خلقٌ كثير ومن أبرز هؤلاء التلاميذ الذين تذكرهم المصادر: بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ، والصاحب بن عباد ت ٣٨٥هـ وهو القائل عن ابن فارس: «شيخنا أبو الحسين ممن رُزق حسن التأليف، وأمن فيه من التصحيف».

ومن تلاميذه أبو طالب مجد الدولة بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي، وعلي بن القاسم المقري، وأبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان، وأبو محمد نوح بن أحمد الأديب اللوباسي، وأبو الفتح سليم ابن أيوب الرازي ت٤٤٧هـ، وأبو زرعة روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي ت٤٢٣هـ وغيرهم كثير[٢].

---

(١) انظر مقدمة كتاب متخير الألفاظ ص ٣٩ـ٤٣ .

(٢) انظر مقدمة كتاب متخير الألفاظ ص ١٥ـ١٦ .

المبحث الثالث: آثار ابن فارس

أولاً: معالم بارزة في آثار ابن فارس: ضرب ابن فارس بسهم وافر في حركة التأليف في عصره، وكان لتآليفه الأثر البالغ فيمن جاء بعده.

وهذه التآليف منها **المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها المفقود.**

والذي يتأمل في مؤلفات ابن فارس يلحظ ما يلي:

١- جمال العرض، وحسن الاستشهاد والتعليل.

٢- التنوع والتفنن؛ فلقد ألف في فنون شتى من العلم وإن كان أبرز تأليفه في اللغة؛ فلقد ألف في التفسير، والفقه، وأصوله، والسيرة، والأدب، وغير ذلك من فنون العلم.

٣- الذوق العالي، والأدب الرفيع، ويتجلى ذلك في إيراده الحجج، ومناقشته للآراء، وبعده عن لغة التعالي والاستفزاز.

كما يتجلى ذوقه في عنوانات مؤلفاته؛ فالمطلع عليها يَعْجب من حسن اختياره للموضوعات، والعنوانات -كما سيتبين عند العرض لمؤلفاته-.

٤- الأمانة العلمية، وتتجلى هذه الميزة بعزوه الكلامَ إلى قائليه، ودقته في النقل دون تزيُّدٍ، أو تحيز.

٥- نزوعه إلى التجديد؛ فهو وإن كان يفيد كثيراً عن ممن سبقه، ويعترف لهم بالفضل، ويقول: «وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق» هو مع ذلك كله قد ترك بصماتِه الواضحةَ، وتجديده البارز، وابتكاره، واختراعه الذي يعدُّ مَعْلَماً من معالم تأليفه.

ولا أدل على ذلك من كتابيه (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها) و (معجم مقاييس اللغة).

فهو أول من أطلق اصطلاح فقه اللغة، وأول من ابتكر فكرة الأصول والمقاييس -كما سيتبين ذلك عند استعراض آثاره-.

٦- بعده عن التعصب سواء لمذهبه الكوفي في النحو واللغة، أو مذهبه الفقهي الشافعي -كما مر- أو في نظرته للقديم والحديث -كما في رسالته لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب -التي سيرد ذكرها-.

فهذه بعض المعالم البارزة في آثار ابن فارس رحمه الله.

وسيتضح ما يؤكد تلك المعالم وغيرها عند استعراض آثاره في الفقرة التالية.

ثانياً: آثار ابن فارس المطبوعة: من آثار ابن فارس المطبوعة ما يلي:

١- (الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها)؛ فهذا الكتاب يعد مع كتابي ابن جني (الخصائص) و (سر صناعة الإعراب) البداية الحقيقية لفقه اللغة، وظهوره بصفته عِلْماً مستقلاً.

وترجع أهمية كتاب (الصاحبي) إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة).

وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً.

وقد عالج ابن فارس رحمه الله في كتابه (الصاحبي) عدداً من الموضوعات التي تعد من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه: «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين -رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء-.

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»[١].

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها.

وكحديثه عن اختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف.

وكحديثه عن الخطاب المطلق والمقيد، وعن الحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والحذف والاختصار، والاتباع، والنحت، والإشباع، وغيرها.

وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على ٢٠٧ من الأبواب، ويقع في مجلد واحد.

وقد طبع عدة طبعات، ومن أحسن تلك الطبعات طبعة البابي الحلبي، تحقيق السيد أحمد صقر، وتقع في ٦٣٧ صفحة.

ولعل من آخرها طبعة دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

وقد علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، وتقع في ٢٣٨ صفحة.

٢- معجم مجمل اللغة: وقد اتبع ابن فارس في تنظيمه لمواد المجمل، وكذلك معجم المقاييس -كما سيأتي- طريقة لم يُسبق إليها.

يقول الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله في مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة مبيناً نظام ابن فارس في معجميه المجمل والمقاييس[٢]: «جرى ابن فارس على طريقة فاذة بين مؤلفي المعاجم، في وضع معجميه: المجمل والمقاييس.

---

(١) الصاحبي ص١٢.

(٢) وقد نقلت هذا الكلام على طوله؛ لقلة من يتفطن أو ينبه على طريقة ابن فارس في معجميه المذكورين.

فهو لم يرتب موادهما على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في الصحاح، وكما فعل ابن منظور والفيروز أبادي في معجميهما، ولم يَنْسُقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة، والفيومي في المصباح المنير.

ولكنه سلك طريقاً خاصاً به لم يفطن إليه أحد من العلماء، ولا نبه عليه.

وكنت قد ظننت أنه لم يلتزم نظاماً في إيراد المواد على أوائل الحروف، وأنه ساقها في أبوابها هملاً على غير نظام، ولكني بتتبع المجمل والمقاييس ألفيته يلتزم النظام الدقيق التالي:

١- فهو قد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب، تبدأ بكتاب الهمزة، وتنتهي بكتاب الياء.

٢- ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

٣- والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التُزم فيه ترتيب خاص، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف الهجاء.

ولكن في (باب الهمزة والتاء وما يثلثهما) يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب: (أتب، أتل، أتم، أتن، أته، أتو، أتى)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتى).

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء.

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما، ثم باب التاء والحاء وما يثلثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدراجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما.

وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم.

وتجد -أيضاً- أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب، ففي باب التاء والواو وما يثلثهما يبدأ بـ (توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره، وذلك لأن أقرب الحروف التي تلي الواو هو الياء.

وفي باب الثاء من المضاعف لا يبدأ بالثاء والهمزة ثم بالثاء والباء، بل يرجئ ذلك إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بالثاء والجيم (ثج) ثم بالثاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يستأنف الترتيب بالثاء والهمزة (ثا) ثم بالثاء والباء (ثب).

وفي أبواب الثلاثي من الثاء لا يبدأ بالثاء والهمزة وما يثلثهما ثم يعقب بالثاء والباء وما يثلثهما، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب، فيبدأ بالثاء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى الأبواب التي تركها.

وتجد -أيضاً- أن الحرف الثالث يراعى فيه الترتيب.

ففي باب الثاء واللام وما يثلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم، ثلب، ثلث، ثلج)... إلخ.

وفي باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والحاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف

(جو) ثم ينسق بعد ذلك (جأ، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم يبدأ بباب الجيم والحاء وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والثاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثالث، ففي الجيم والنون وما يثلثهما يبدأ أولاً بـ (جنه) ثم (جنى) ويعود بعد ذلك إلى (جناً، جنب، جنث) إلخ.

هذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه (المجمل) و (المقاييس) وهو بِدْع كما ترى»[1].

٣- معجم مقاييس اللغة: وهذا الكتاب يكاد يكون أعظم كتب ابن فارس إن لم يكن أعظمها، بل يكاد يكون أعظم معجم ألف في اللغة العربية.

وهو منهج جديد في التأليف المعجمي يشبه إلى حدٍّ ما منهجه في كتاب المجمل، ولكن المقاييس يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك قال عنه ياقوت الحموي رحمه الله: «كتاب جليل لم يصنف مثله»[2].

وقال عنه الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله: «فإنَّ كِتَابَنا هذا لا يختلف اثنان بعد النظر فيه أنه فذ في بابه، وأنه مفخرة من مفاخر التأليف العربي، ولا إخال لغةً في العالم ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف.

ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة وحسن الذوق، وروح الأديب، ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللغوية، وعنف ممارستها.

فأنت تستطيع أن تتخذ من هذا الكتاب متاعاً لك إذْ تبغي المتاع، وسنداً حين تطلب التحقق والوثوق.

---

(١) ١/ ٤٢-٤٤.

(٢) معجم الأدباء ١/ ٥٣٦، وانظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص٩٩.

والكتاب بعد كل أولئك يضم في أعطافه وثناياه ما يَهَب القارئ ملكة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها»[١].

وقال في موضع آخر عن الكتاب: «مفخرة من مفاخر التأليف العربي، بل يكاد يكون الفذَّ من نوعه من بين المؤلفات اللغوية في المحيط العربي، إن لم يكن المحيط اللغوي العالمي؛ فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغوياً آخر حاول أن يدرس مواد اللغة في ظل القياس المطرد في تلك المواد.

ولا غرو؛ فإن مؤلِّفَه أحمدَ بنَ فارس يعد في طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر»[٢].

ولعل من توفيق الله لابن فارس ولكتابه المقاييس أن قيض الله لتحقيقه وضبطه العلامة المحقق البحاثة عبدالسلام هارون رحمه الله؛ حيث قام بهذا العمل الجليل خير قيام، وصدَّره بمقدمة أورد فيها حياة ابن فارس، وتحدث عن سيرته وخلقه، وتلقيه العلم، وتعليمه إياه، وعن أبرز شيوخه وطلابه، كما تحدث عن الجانب الأدبي، والجانب اللغوي عند ابن فارس.

كما أنه رحمه الله وازن بين كتاب المقاييس والمجمل، وتوصَّل من خلال ذلك إلى أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس، وأن النضج اللغوي الذي يتجلى فيه من دلائل ذلك[٣].

ولقد تميز معجم مقاييس اللغة زيادة على ما مضى بميزات عظيمة، وأهم تلك

---

(١) مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٥.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٥/ ١٠ من بحث معجم مقاييس اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون.

(٣) انظر مقدمة المقاييس ١/ ٤١.

الميزات فكرتان أساسيتان اتبعهما ابن فارس في تأليفه للمعجم، وتكاد تكون باقي الميزات ترجع إلى هاتيك الفكرتين:

الأولى: فكرة الأصول والمقاييس: ويقصد بهما: البناء الذي يدل على معنى واحد، بحيث يجمع كلمات تشترك معه في الحروف الأصلية التي هي حروف المادة.

ومثال ذلك قوله في مادة: (أله): الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد؛ فالإله: الله -تعالى- وسمي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد، قال رؤبة:

لله درُّ الغانيـــــــات المُـــــــدَّه[1] ســـبحن واســـترجعن مـــن تـــألهي

والإلَهة: الشمس سميت بذلك؛ لأن قوماً كانوا يعبدونها.

وحين تتشابه هذه الكلمات المتفرعة عن الأصل، ويمكن إرجاعها إليه فإنه يسمى هذا التشابه قياساً.

وفكرة الأصول والمقاييس هي ما يسميه بعض اللغويين: (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك فيها هذه المفردات[2].

الفكرة الثانية: فكرة النحت التي اشتهر بها ابن فارس، والنحت هو أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة.

أو هو استخراج كلمة واحدة من كلمتين فأكثر.

ومعنى ذلك أن يُعْمَدَ إلى كلمتين فأكثر، فيجعل منهما كلمةً واحدة تُعَبِّر عن الكلمتين.

---

(١) المده: وهو المدح لغة فيه، وقيل: المُدَّه في نعت الهيئة والجمال، والمدح في كل شيء.

(٢) انظر مقدمة معجم المقاييس ١/ ٣٩، ودراسات في المعاجم ص١٠١.

مثال ذلك: عبشمي: نسبة إلى عبد شمس، وحيعل نسبة إلى حي على الفلاح.

ولابن فارس طريقة فريدة في المنحوت، حيث أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية والخماسية إلى النحت.

والمقام لا يتسع لإيضاح تينك الفكرتين[١].

٤- **أبيات الاستشهاد**: وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

٥- **الإتباع والمزاوجة**: وهو يبحث فيما ورد في كلام العرب مزدوجاً.

٦- تمام فصيح الكلام. ٧- خلق الإنسان. ٨- ذم الخطأ في الشعر ٩- سيرة النبي ﷺ ١٠- فتيا فقيه العرب ١١- اللامات ١٢- متخير الألفاظ ١٣- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله.

١٤- رسالته إلى أبي عمر محمد بن سعيد الكاتب، وسيأتي الحديث عنها.

١٥- النيروز.

فهذا شيءٌ من آثاره المطبوعة[٢].

ثالثاً: آثار ابن فارس المخطوطة، والمفقودة: أما آثاره المخطوطة فمنها:

١- أخلاق النبي ﷺ.

٢- الليل والنهار. ٣- مختصر في المذكر والمؤنث ٤- اليشكريات.

ولا أدري أطبعت هذه الكتب أَمْ لم تطبع[٣].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته قضاياه للمؤلف ص ٢٥٧-٢٦٨ و٣٦٦-٣٧٢.

(٢) انظر مقدمة الأستاذ هلال ناجي على كتاب متخير الألفاظ ص ٢٤-٣١ ففيها تفصيل لتلك المؤلفات.

(٣) انظر مقدمة كتاب متخير الألفاظ ص٣٢ .

وأما آثاره المفقودة التي لم يعثر عليها -كما يقول الأستاذ هلال ناجي- فمنها: ١- أصول الفقه ٢- الأضداد ٣- الأفراد ٤- الأمالي ٥-أمثال الأسجاع ٦- الانتصار لثعلب ٧- تفسير أسماء النبي ﷺ ٨-الثياب والحلي ٩- جامع التأويل في تفسير القرآن ١٠- الحبير المذهب ١١- الحجر ١٢- حلية الفقهاء ١٣- الحماسة المُحْدَثة ١٤-ذخائر الكلمات ١٥- شرح رسالة الزهري إلى عبدالملك بن مروان ١٦-العم والخال ١٧- فضل الصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- ١٨- كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين ١٩- المعاش والكسب ٢٠- ما جاء في أخلاق المؤمنين ٢١- ذم الغيبة ٢٢-خضارة: وهو كتاب نعت الشعر ٢٣- دارات العرب ٢٤- الفرق ٢٥- الميرة ٢٦-مأخذ العلم ٢٧- مقدمة في الفرائض ٢٨- مقدمة في النحو ٣٠-شرح مختصر المزني ٣١-الجوابات: وقد ذكره في كتابه الصاحبي في خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلاً منه، ويجيء في السورة معها، أو في غيرها) إذ قال ما نصه: «وهذا في القرآن كثير أفردنا له كتاباً، وهو الذي يسمى الجوابات».

فهذه بعض آثاره المفقودة، والمقام لا يسمح باستعراض ما قيل عن تلك المؤلفات[1].

ولعلك وقفت من خلال ذلك على شيء من عبقرية ذلك العالم الكبير، وتفننه في العلوم، وحسن اختياره لعنوانات الكتب، وَطَرْقِهِ لموضوعات مهمة، أو جديدة.

---

(١) انظر بيان ذلك في مقدمة الأستاذ هلال ناجي على كتاب متخير الألفاظ لابن فارس ص٣٢-٣٩ حيث تعرض لتلك المؤلفات بشيء من البسط.

المبحث الرابع: شعر ابن فارس ونظراته في النقد والأدب

أولاً: شعر ابن فارس: لقد أحسن ابن فارس صنعة الشعر، وكان نقادةً فيه، وله شعره الذي ينم عن ظرف، ورقة، وحسن تأتٍّ.

وهو مُلِحٌّ في التهكم والسخرية، ومن شعره في ذلك قوله:

مـــرت بنـــا هيفـــاءُ مقـــدودةٌ تركيـــــة تُنْمـــــى لتركـــــيٍّ
ترنـــو بطـــرفٍ فـــاتن فـــاتر كأنـــــه حُجَّـــــةُ نحـــــويٍّ

فيجعل من حجة النحوي في ضعفها -على ما يراه- شبهاً للطرف الفاتن الفاتر.

وهو يتبرم بَهَمَذَانَ والعيشِ فيها؛ فيرسم حياته فيها على هذا النحو البديع، فيقول:

سـقى همـذان الغيـثُ لـستُ بقائـل سـوى ذا وفي الأحـشاءِ نـارٌ تَـضَرَّمُ
ومـاليَ لا أصـفيْ الـدعاءَ لبلـدة أَفَـدْتُ بهـا نـسيانَ مـا كنـتُ أعلـم
نـسيتُ الـذي أَحْـسَنْتُهُ غـير أننـي مَـدِينٌ ومـا في جـوفِ بيتـيَ درهـمُ

وهو صاحب حملة على من يزهِّدون في الدينار والدرهم؛ بحجة أنهم يطلبون المجد في العلم والأدب، فيقول على سبيل التهكم:

قـد قـال في مـا مـضى حكـيم: مـــــا المـــــرء إلا بأصـــــغريه
فقلـــتُ قـــولَ امـــرئٍ لبيـــبٍ: مـــــا المـــــرء إلا بدرهميـــــه
مـــن لم يكـــن مَعْـــهُ دِرْهمـــاه لم تلتفـــت عِرْسُـــه إليـــه[1]
وكـــان مـــن ذُلِّـــه حقـــيراً تبـــول سَـــنّوره عليـــه

(١) العرس: الزوجة.

ولابن فارس التفاتٌ عجيب إلى السَّنور، وقد سجل في غير هذا الموضع من شعره أنه كان يصطفي لنفسه هِرَّةً تلازمه، وتنفي عنه هموم قلبه، ووساوس نفسه، فقال:

وقالوا: كيف أنت فقلت: خيرٌ تَقَضَّى حاجةٌ وتفوت حاجُ
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وسرورُ قلبي دفاتِرُ ليْ ومعشوقيْ السراج

وهو بصير ذو خبرة بطبائع الناس، واستئثارهم بالمال، وخضوعهم له، يقول في ذلك:

إذا كنت في حاجة مُرْسِلاً وأنت بها كَلِفٌ مغرمُ
فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

ويقول:

عتبتُ عليه حين ساءَ صنيعُهُ وآليتُ[1] لا أمسيتُ طوعَ يديه
فلما خبرتُ الناس خُبْرَ مُجَرِّبٍ ولم أرَ خيراً منه عُدْتُ إليه

ويقول لمن يتكاسل في طِلاب العلم:

إذا كان يؤذيك حرُّ المصيف ويُبْسُ الخريف وبردُ الشتا
ويلهيك حسنُ زمانِ الربيع فأخذُك للعلم قل لي: متى؟[2]

ولعل ابن فارس من أقدم من استعمل أسلوب الشعر في تقييد مسائل اللغة والعربية.

---

(١) آليت: حلفت.

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ص١٠٠-١٠١، وبغية الوعاة للسيوطي ص٣٥٢-٣٥٣، ومقدمة معجم المقاييس١ / ١١ - ١٣، ومقدمة متخير الألفاظ ص١٩-٢٤.

يقول ياقوت الحموي: «قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالرحيم السلمي: وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل، والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يا دارَ سُعدى بذات الضَّالِ[1] من إضَمٍ سقاكِ صوبُ حَياً من واكف العينِ

العين: سحاب ينشأ من قِبَل القبلة.

إني لأذكر أياماً بِها ولنا في كل إصباح يومٍ قرَّةُ العينِ

العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تُدني مُعَشَّقَة منَّا معتَّقة تَشُجُّها عذبة من نابع العين
إذا تَمَزَّزَها شيخٌ به طَرَقٌ سرت بقُوَّتها في الساق والعينِ

العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.

والزِّقُّ ملآنُ من ماء السرور فلا تخشى تولَّهَ ما فيه من العينِ

العين ههنا: ثقب يكون في المزادة، وتولُّه الماءِ: أن يتسرب.

وغاب عُذَّالنا عنا فلا كدرٌ في عيشنا من رقيب السوء والعينِ

العين ههنا: الرقيب.

يقسِّم الودَّ فيما بيننا قِسَماً ميزانُ صدقٍ بلا بَخْسٍ ولا عينِ

العين ههنا: العين في الميزان.

وفائض المال يغنينا بحاضره فنكتفي من ثقيل الدَّين بالعينِ

العين ههنا: المال الناضّ[2].

---

(١) الضال: نبت كالسَّلَم.

(٢) الدراهم والدنانير.

والمجمـــل المجتبـــى تغنـــي فوائـــده حفاظَـــه عـــن كتـــاب الجـــيم والعـــينِ[1]

ثانياً: نظرات ابن فارس في النقد والأدب: لابن فارس نظرات في النقد والأدب، ولم يكن كأمثالِ مَنْ ينصرفون عن إنتاج معاصريهم، أو ممن يحتقر الفائدة، أو التأليف، أو الشعر إذا صدر من معاصر.

ولم يكن من اللغويين الجامدين الذين لا يقيمون لمعاصريهم وزناً، بل هو يُصْغي إلى شعر معاصريه، ويروي لكثير منهم، وينتصر للمحسن، وينتصف من المتعصبين.

وإليك شيئاً من رسالة له كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب؛ لتستبين مذهبه في ذلك، وتَلْمَسَ أسلوبه الأدبي، تلك الرسالة التي يتناقلها بعض المؤلفين إلى يومنا هذا، ويرون فيها رداً على من لا يَقْدُرُون الإنتاجَ العلمي والأدبي قَدْرَهُ، ولا يرون التَمَيُّزَ إلا للقديم؛ فابن فارس يُبَيِّن فيها أن الحَسَنَ الجيدَ لا يختص به أحد دون أحد، أو زمان دون زمان، وينكر تلك المقولة التي وقفت سداً منيعاً أمام كثير من المبدعين، ألا وهي قولهم: (ما ترك الأول للآخر شيئاً).

ويرشد إلى أن يوضع مكانها: (كم ترك الأول للآخر).

يقول رحمه الله في رسالته: «ألهمك الله الرشاد، وأصحبك السداد، وجنبك الخلاف، وحبَّب إليك الإنصاف.

وسبب دعائي بهذا لك إنكارُك على أبي الحسن محمد بن علي العِجْلي تأليفه كتاباً في الحماسة، وإعظامك ذلك.

---

(١) معجم الأدباء ١/ ٥٤٠-٥٤١، ولا يخفى أنه رحمه الله أراد أن يشير في هذه الأبيات إلى مبحث الاشتراك أو المشترك في اللغة؛ فكلمة العين واحدة، ومعانيها مختلفة - كما ترى-.

ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده، وَيَرِد المنهل الذي يؤمه- لاستدرك من جيد الشعر وَنقِيِّه، ومختاره ورضيِّه كثيراً مما فات المؤلف الأول؛ فلماذا الإنكار؟ ولمه هذا الاعتراض؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادةَ المتقدم؟ ولمه تأخذ بقول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وتدع قول الآخر:

كم ترك الأول للآخر؟

وهل الدنيا إلا أزمان، ولكل زمان رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام، ونتائج العقول؟!

ومَنْ قَصَر الآداب على زمانٍ معلوم، ووقفها على وقت محدود؟ ولمه لا ينظر الآخر مثلما نظر الأول؛ حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل مثل رأيه.

وما تقول الفقهاء في زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أَوَ ما علمت أن لكل قلب خاطراً، ولكل خاطر نتيجةً؟ ولِمَهْ جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره، ولم يَجُزْ أن يؤلف مثل تأليفه؟

ولمه حجَّرت واسعاً، وَحَظَرتَ مباحاً، وحَرَّمت حلالاً، وسددت طريقاً مسلوكاً؟

وهل حبيبٌ[1] إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؟ ولمه جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم، وأهل النحو في مصنفاتهم، والنُّظَّار في موضوعاتهم، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذَّ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يُدْرَكُ ولا يدرى قدره؟

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذهب أدب غزير،

(١) يعني به: أبا تمام: حبيب بن أوس الطائي.

ولضلت أفهام ثاقبة، ولَكَلَّت أَلْسُنٌ لسِنَةٌ، ولما توشَّى أحد بالخطابة، ولا سلك شِعْباً من شعاب البلاغة، وَلَمَجَّتِ الأسماع كل مردود مكرر، ولَلَفظت القلوب كل مُرَجَّع مُمَضَّغ، وحتَّام لا يُسْأَم:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي[1]

وإلى متى: صَفَحْنا عن بني ذهل[2]

ولِمَه أنكرت على العِجْليِّ معروفاً؟ واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً، وإيطاءً وإقواءً[3]، ونقلاً لأبيات عن أبوابها إلى أبوابٍ لا تليق بها، ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة، وأمور عليلة؟ ولمه رضيت لنا بغير الرضى؟ وهلا حشت على إثارةِ ما غَيَّبَتْهُ الدهور، وتجديد ما أخلقته الأيام، وتدوين ما نَتَجَتْهُ خواطرُ هذا الدهر، وأفكار هذا العصر، على أن

---

(١) يشير إلى قول قريط بن أنيف: لو كنت.... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

(٢) يشير إلى قول الفِنْد الزماني:

صفحنا عن بني ذُهْل ... وقلنا القوم إخوان
فلما صرَّح الشرُّ ... وأمسى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوا ... نِ دناهم كما دانوا
وفي الشر نجاة حين ... لا ينجيك إحسان

(٣) الإيطاء والإقواء: مصطلحان عروضيان يعدان من عيوب القافية؛ فالإيطاء: هو إعادة كلمة الرَّوي بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة إلى سبعة أبيات؛ وهذا مما يدل على قلة إلمام الشاعر بمفردات اللغة؛ إذ عليه ألا يكرر ألفاظ القافية.

والإقواء: هو اختلاف حركة الروي المطلق من الضم إلى الكسر، كقول النابغة الذبياني:

زعم البوارحُ أن رِحْلَتنا غداً ... وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به ... إن كان تفريق الأحبة في غدِ

ولهذا يذكر أن النابغة لما نبه على هذا غيّر البيت إلى قوله:

..... **وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ**

ذلك لو رامه رائمٌ لأتعبه، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة مَنْ قَبْلَه: مِنْ جدٍّ يروعك، وهزل يروقك، واستنباط يعجبك، ومزاحٍ يلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي حامد الضرير القزويني، حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكول، فأحس أبو حامد بجودة أكله فقال:

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأن في أمعائه معاوية[1]

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عَجْرَد وأبو الشمقمق؟ وهل في إثبات ذلك عارٌ على مثبته، وفي تدوينه وصمة على مدوِّنه؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً، عليه عمامةٌ سوداءُ وطيلسان أزرقُ، وقميصٌ شديدُ البياض، وخفٌّ أحمرُ، وهو مع ذلك كله قصير على بِرَذَون أبلقَ هزيلِ الخَلْق، طويل الحلق، فقال حين نظر إليه:

وحاكم جاء على أبلق كعقعقٍ جاء على لقلقِ

فلو شهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه، وجودة التمثيل، ولعلمت أنه لم يَقْصُرْ عن قول بشار:

---

(١) المُعاوِية: الكَلْبَةُ التي تعاوي الكلاب وتنابحها، وبها سمي الرجل، وربما أراد بذلك الخليفة معاوية ابن أبي سفيان ﷺ فقد كان رجلاً أكولاً وقد قال فيه النبي ﷺ :«**لا أشبع الله بطنك**» رواه مسلم (٢٦٠٤).

وقد عدَّ الإمام مسلم هذه الدعوة من جملة مناقبه ﷺ لأن النبي ﷺ قال: «**اللهم إنما أنا بشر؛ فأيُّما رجلٍ من المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدته – اجعلها له زكاة ورحمة**» رواه مسلم (٢٦٠١)، ثم أعقبه بحديث معاوية «**لا أشبع الله بطنك**».

كـأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـهم وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

فما تقول لهذا، وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه، وجحود تجويده؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل، لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني وهو اليوم حي يرزق، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه:

وُقِيـتَ الـردى وصروفَ العلـل ولا عَرَفَـتْ قـدماك العلـل
شـكا المـرض المجـد لَمَّا مَرِضْـ ـتَ فلـما نهـضت سـليماً أبـلّ
لـك الـذنب لا عتـب إلا عليـك لمـاذا أكلـت طعـام السِّفل

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف:

وأصـفر اللـون أزرق الحدقـة في كـل مـا يدعيـه غـير ثقـةْ
كأنـه مالـك الحـزين إذا هـمَّ بـزرق وقـد لـوى عنقـهْ
إن قمـت في هجـوه بقافيـةٍ فكـل شـعر أقولـه صـدقةْ

وأنشدني عبدالله بن شاذان القاري، ليوسف بن حمويه من أهل قزوين؛ ويعرف بابن المنادى:

إذا مـا جئـت أحمـد مُـسْتميحاً فـلا يَغْـرُرْكَ منظـرُه الأنيـقُ
لـه لطـفٌ ولـيس لديـه عـرفٌ كبَارقـةٍ تـروقُ ولا تُريـق
فـما يَخْـشى العـدوُّ لـه وعيـداً كـما بالوعـد لا يَثِـقُ الـصديقُ

ومدح رجلٌ بعض أمراء البصرة، ثم قال بعد ذلك -وقد رأى توانياً في أمره- قصيدةً يقول فيها كأنه يجيب سائلاً:

جـوَّدت شـعرَك في الأميـ ـرِ فكيـفَ أمْـرُك قلـتُ: فـاترْ

فكيفَ تقول لهذا؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن

الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظٍ وأوجز كلام؟ وأنت الذي أنشدتني:

سَـــدَّ الطريـــق عـــلى الزمـــا نِ وقـــام في وجـــه القطـــوب

كما أنشدتني لبعض شُعراء الموصل:

فـدَيتك مـا شِـبْتُ عـن كُـبرةٍ وهـذي سِـنِيٌّ وهـذا الحـسابُ
ولكـن هُجِـرتُ فحَـلَّ المـشيبُ ولـو قـد وُصِـلتُ لعـاد الـشبابُ

فلِمَ لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء، وشياطين الإنس، ومَرَدة العالمِ في الشعر؟

وأنشدني أبو عبدالله المغلسي المراغي لنفسه:

غـداةَ تولـت عِيـسُهم فترحلـوا بكيـت عـلى ترحـالهم فعميـتُ
فـلا مُقلتِـي أدّت حقـوقَ وِدادهـم ولا أنـا عـن عينـي بـذاك رضـيتُ

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: كان عندنا طبيب يسمى النعمان، ويكنى أبا المنذر، فقال فيه صديقٌ لي:

أقـول لـنعمانٍ وقـد سـاق طبُّـه نفوسـاً نفيـساتٍ إلى بـاطن الأرضِ
أبـا منـذر أفنيـتَ فاسـتبقِ بعـضَنا حنانيك بعضُ الشرِّ أهون مـن بعـض[1]

إلى آخر ما قاله ابن فارس في رسالته الماتعة[2]؛ فرحمه الله، وأجزل مثوبته، وجزاه خير الجزاء كِفاءَ ما قدم للعلم والعربية.

وهكذا يتبين لنا بطلان المقولة المثبطة: «ما ترك الأول للآخر شيئاً».

وصحة المقولة المُنهضة: «كم ترك الأول للآخر».

ويتبين -أيضاً- شيء من براعة ابن فارس في الأدب والنقد.

---

(١) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨.

(٢) انظر يتيمة الدهر للثعالبي ٢/ ٢١٤-٤١٨، ومقدمة المقاييس ١ / ١٥ - ٢٠.

الفصل الثاني:

دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد)

وتحته:

المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثالث: متن كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد)

أولاً عنوان الكتاب، وموضوعه: عنوان هذا الكتاب «أبيات الاستشهاد».

وهو مخطوطة نادرة عثر عليها العلامة المحقق الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله وجعلها ضمن كتابه المشهور «نوادر المخطوطات» الذي يقع في جزأين.

حيث جاءت ضمن المجموعة الثانية من الجزء الأول وذلك من ص١٥١-١٧٧ أي أنها وقعت مع مقدمة الأستاذ عبدالسلام هارون في سبع وعشرين صفحة.

يقول الأستاذ هارون في مقدمة ذلك الكتاب: «وقد أوردت في مقدمة مقاييس اللغة طائفة من مختار شعره تنبئ عن رقة وشاعرية ممتازة، كما أوردت له نحو أربعين مصنفاً تدل عنواناتُ كثيرٍ منها على ابتكاره وتجديده في التصنيف والتأليف، ولكني لم أذكر بينها «أبيات الاستشهاد» إذ لم أكن قد عثرت عليها بعد، ولم يذكرها أحد من مؤلفي التراجم، ولا واضعي فهارس المصنفات قديمها وحديثها، وقد يكون هو كتاب «ذخائر الكلمات» الذي ورد في مقدمة مقاييس اللغة ص٢٩.

ومهما يكن فإن موضوع هذا الكتاب واضح، وهو **ذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مضارب مختلفة، أو هو الأمثال الشعرية مع ذكر مضاربها**، وقد ساق ذلك في أسلوب أدبي.

ويبدو أنه كان لابن فارس عناية خاصة بالأمثال؛ إذ وضع كتاباً آخر سماه «أمثلة الأسجاع».

وأصل أبيات الاستشهاد نسخة فذةٌ في العالم، مُوْدَعَةٌ في الخزانة التيمورية

بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب، وهي رديئة الخط تقع في نحو اثنتي عشرة صفحة، عانيت كثيراً في قراءتها وفي نسبة أبياتها التي قضى الذوق الأدبي لابن فارس أن يجردها من نسبتها، فوفقت في أكثر ذلك، وغاب عني نسبة القليل».[1]

فهذا الكتاب -إذاً- يدور حول الاستشهاد بأبيات الشعر في مضاربها؛ بحيث إذا عرض للإنسان عارض، أو مَرَّ به أمرٌ من الأمور، أو موقف من المواقف استشهد عليه بشيء من الشعر يناسب ذلك المقام.

وقد ساقه ابن فارس رحمه الله مساق الرواية عن رجل من الناس، حيث قال ابن فارس في مقدمته: «بلغنا أن رجلاً من حَمَلة الحُجَّة، ذا رأي سديد، وهمة بعيدة، وضِرس قاطع، قد أعد للأمور أقرانها، بلسانٍ فصيح، ونَهْج مليح...»[2].

ولا يبعد أن يكون ذلك الرجلُ هو ابنَ فارسٍ نَفْسَه؛ لأن هذا الكتاب يحمل نَفَسَ ابن فارس، وذوقَه الأدبيَّ الرفيعَ؛ فيكون جَرَّدَ من نَفْسه ذاتاً أخرى؛ ليسلم من مَعَرَّة نسبة ذلك الفضل لنفسه مباشرة.

ولكن هذا الزعم يبقى ظناً لا يصل إلى حد اليقين، والأمر يَسيرٌ فيه.

ويبقى -مع ذلك كله- الفضلُ لابن فارس في تأليف هذا الكتاب، وإخراجه بتلك الحلة الجميلة الرائعة.

ثانياً: عدد المضارب، والأبيات: بلغ عدد المضارب التي أوردها ابن فارس في كتابه هذا مائة واثنين وثلاثين مضرباً.

أما الأبيات التي استشهد بها ابن فارس فيزيد على ما أورده من مضارب؛ لأنه ربما استشهد بأكثر من بيت، وأورد أكثر من شاهد على المضرب الواحد.

---

(١) نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هارون ١/ ١٥٣.

(٢) نوادر المخطوطات ١/ ١٥٥.

وقد بلغ عدد الأبيات التي استشهد بها على ما أورده من مضارب مائة وثمانية وأربعين بيتاً.

ثالثاً: ملحوظات على كتاب (أبيات الاستشهاد): ومما يلحظ على هذا الكتاب ما يلي:

١- أن مضاربَه وشواهدَه - لم تسر على نظام واحد؛ من جهة وضعِ كلِّ مضربٍ قُرْبَ نظيرِه في المعنى، وإنما جاءت تلك المضارب على أنحاء شتى؛ وفي مواطن متفرقة؛ فقد تجد مضرباً يدور حول أمرٍ ما، ثم تجد ما يقاربه في موطن بعيد عنه، وقد تجده -أحياناً- قريباً منه -كما سيتضح في المبحث الآتي عند الحديث عن مجمل ما احتوى عليه الكتاب-.

كما أن بعض المضارب والشواهد قريب جداً من بعض في المعنى، ويحتاج إلى شيء من التمعن؛ للفصل بينها.

٢- أن بعضَ المضارب يصلح لأن يستشهد عليه بأكثر من شاهد مما أورده في عدد من المواطن، وبعض الشواهد يصلح شاهداً لعدد من المضارب التي أوردها -كما سيتبين ذلك في الشرح-.

ولعل سبب ذلك أن ابن فارسٍ رحمه الله كتبها عفو الخاطر، منطلقاً على سجيته دون تكلف، أو مراعاة للترتيب؛ لأن الأمر يسير في هذا.

وإلا فهو المعروف بالدقة، وحسن التأليف، وجودة التبويب.

بل قد يكون إيرادها على هذا النحو أحسن؛ حتى يطرد الملل عن القارئ، ولأجل أن ينتقل به من معنى إلى آخر، ثم يعود إلى ذلك المعنى مرة أخرى؛ ليؤكد عليه، وهكذا...

٣- أن بعض المضارب قد يكون بينها وبين الشواهد مناسبة بعيدة، أو قد

يكون بعض الشواهد مما لم يورِدْه أولى مما أورده -كما سيتبين ذلك في الشرح-.

وعلى كل حال فإن ذلك قليل، والأصل والأغلب أن كل ما أورده من الشواهد مناسب للمضارب، ملائم لها؛ مما يدل على ذوقٍ رفيع، وحسٍّ أدبيٍّ عالٍ.

وليس ذلك بغريب على الإمام ابن فارس رحمه الله.

٤- أن ابن فارس نوَّع في الشواهد، ولم يقتصر على شعراء معينين في عصر واحد، بل استشهد بأبيات من الشعر الجاهلي فما بعده إلى حين عصر ابن فارس؛ إذ كان همه إيراد الشاهد في موضعه، بغض النظر عن قائله سواء كان جاهلياً، أو في عصر صدر الإسلام، أو كان من المولَّدين، أو من جاء بعدهم إلى حين عصره، فابن فارس -كما تبين من منهجه الأدبي- لا يَقْصُرُ الإبداع على قديم أو جديد، بل يراه مشاعاً.

٥- أن الأغلب على هذا الكتاب أن ابن فارس يقتصر فيه على بيت أو بيتين من كل شاعر ممن استشهد بشعرهم.

وقلما استشهد على شعر أحدٍ من الشعراء بأكثر من ذلك.

٦- أن أكثر الذين استشهد بأبيات من شعرهم ثلاثة شعراء، وهم الشاعر والكاتب إبراهيم بن العباس الصولي؛ حيث استشهد بسبعة من أبياته على سبعة من المضارب التي أوردها، والغريب أنها جاءت متتالية خلف بعض عدا واحدٍ منها على نحو ما في المضارب (٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤).

ويليه الفرزدق وجرير، حيث استشهد بشعر كلٍّ منهما بخمسة شواهد في المضارب (٥٦ و٦٦ و٩٣ و٩٤ و١٢٤) والمضارب (٥٣ و٧٩ و٨٦ و١٠١ و١٢١).

وأما الذي استشهد ببيتين من شعرهم فأكثر من هؤلاء، مثل امرئ القيس (٥١ و ٩٩) وزهير (٥٢ و ١١٩) والنابغة الذبياني (٣٦ و ٦٥) وحسان (٥٧ و٩٧)

والحارث بن عباد (٥٨ و ٦٣) وكثيِّر عزة (٧٣ و ٩٨) والأحوص (١٠٩ و١٠٠) والعباس بن الأحنف (١٠٠ و ١٢٥) وبشار بن برد(٧٣ و ١٢٦).

فهذه ملحوظات عامة على كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد)

احتوى كتاب (أبيات الاستشهاد) على مضارب شتى، وموضوعات متنوعة.

وقد يكون بعضها داخلاً في بعض، وقد يشتمل الشاهد الواحد على أكثر من معنى أو موضوع، وإن كان مسوقاً في الأصل على مَضْرَبٍ مُعَيَّن.

ويمكن إجمال ما اشتمل عليه من المضارب والشواهد فيما يلي مع بيان رقم المضرب الذي سيق له الشاهد:

١- **الحديث عن الصداقة والصديق**: وما يدور في ذلك الفلك من الشوق للأحبة، وتذكرهم، والحنين إليهم، والزيارة والوفاء لهم، وأداء حقوقهم، والحزن على فقدهم

وما يكون بين الأصدقاء من الإخلال بحق الصداقة، وما يجري بينهم من التلون، والهجر، والقطيعة، والتجني، والعتاب.

وهذا الباب - أعني باب الصداقة والصديق - هو أكثر موضوع دارت حوله هذه الرسالة كما في المضارب (١) و(١٣) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٨) و(٣١) و(٣٢) و(٣٨) و(٤٥) و(٥٠) و(٥١) و(٥٣) و(٧٥) و(٧٧) و(٧٩) و(٨٨) و(٩٠) و(٩٨) و(١٠٠) و(١١١) و(١١٦) و(١٢١) و(١٣٠).

٢- **الإشادة ببعض خصال الحمد**: كالرضا والقناعة وعزة النفس(٤ و ٧٢) والبشاشة للأضياف(٦) والسخاء مع قلة ذات اليد(٧) والبذل (٢٧و٦٧) والحث على الإحسان (٤٠) والتنويه بالأسخياء (٦٧) والجود والسماحة (١١٨) والمساعفة (١٢٠) والعفة (١٠١) و (١١٨) والإعراض والمسالمة (٤٨) والإقرار بالفضل

لأهله (٥٥) وعلو الهمة (٢٢) وأصالة الرأي (٤٩) وبعد الغور(٨٠) والوفاء (١٢١) والحلم (٧٩ و ٩٤) والصبر (٤٥).

٣- التعرض لبعض الأخلاق المرذولة والتحذير والتنفير منها: كالتلون(١) والعبوس (٢) واللؤم(٣) والجفاء(٥) وقطيعة الرحم(١٤) وإخلاف الوعد(١٥) والمطل(٩٦ و٩٨ و١٠٦) والتقصير في رعاية الأمانة(١٨ و٢١) والجزعِ على ما فات(٢٦) وأذية الجار(٣٣) وانتقاصِ الأفاضل(٥٦) ورمي الآخرين بما هم منه براء(٦٩) والشح(٧١) ونقضِ العهد(٧٥) والملقِ والرياء(٧٨) والجهلِ والسفهِ(٨٧ و٩٣ و٩٤) وسقوط الهمة والأثرة والأنانية (١٠٧) واللجاج (١٠٨) والثقل والثقلاء (١٣١) وقلة الحمية(١٢٨).

٤- الولاية والعزل وتغير الأحوال: كما في المضارب (١٨ و٢١ و٤٣ و ٥٧ و٨٣ و١٠٣).

٥- مدح الرؤساء والأكابر: كما في المضارب (٤٣ و٥٢ و٦٥ و٦٦ و٩٥ و١٠٣ و١٠٥).

٦- كبر السن وصغره: كما في المضارب (١٩ و ٣٧ و ١٢٣).

٧- تذكر الماضي والحنين إليه: كما في المضارب (٣٤ و٤٦ و٩٠).

٨- العداوة والأعداء: كما في المضارب (٧٤ و٧٦ و٨٧ و١١٥ و١٢٤).

٩- العتاب والشكوى: كما في المضارب (١٤ و١٥ و٢٦ و٢٧ و٣٠ و٣٣ و٣٦ و٤٤ و٥٣ و٥٩ و٧٧ و١٢٦ و١٢٩).

١٠- التعرض لذكر المحادثة، والخصومة، والمناظرة: وما ينبغي لتلك الأحوال من آداب، وما يعرض لها من عوارض، وذلك كما في المضارب (٢ و٨ و١٠ و١١ و٢٩ و٤٧ و٥٥ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٧٠ و١٠٤ و١٠٨ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٤).

١١- **المرض وعيادة المريض**: كما في المضارب(٢٥ و٧٣ و١٢٧).

١٢- **الآباء والأولاد**: كما في المضارب (٩) (٣٩) (٨٤) (٩١) (١١٩).

١٣- **الموت والتعزية**: كما في المضارب (٣٩) (٦٤) (٨١) (٨٤) (٨٦) (٨٨) (٩١) (٩٥) (١٠٥) (١١٣).

١٤- **الوعد والوعيد**: كما في المضارب (١٢ و١٥ و٧٦ و٩٦ و٩٨ و١٠٦ و١١٢).

١٥- **متفرقات**: كما إذا شم رائحة كريهة من جليسه(٨) وإذا رأى ناساً لا خير فيهم(٩) وإذا لم يعجبه إنسان(١٦) وإذا أعار أحداً دفتراً فأبطأ عليه بِرَدِّه (٢٤) وإذا قيل له: إن أمثالك قليل(١٠٢) وإذا رأى رجلاً اتهم بغير نسبه إلى أبيه(١١٤) .

فهذا هو مجمل ما اشتمل عليه كتاب أبيات الاستشهاد من موضوعات.

المبحث الثالث: متن كتاب أبيات الاستشهاد

قال الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي اللغوي:

بلغنا أن رجلاً من حَمَلة الحُجَّة، ذا رأيٍ سديدٍ، وهمة بعيدة، وضِرسٍ قاطعٍ، قد أَعد للأمور أقرانَها، بلسانٍ فصيح، ونَهْج مليح.

وكان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عَهِدَه، أنشدَه:

ليس الخليلُ على ما كنتَ تَعهدُه ... قد بَدَّل الله ذاكَ الخِلَّ ألوانا

وإذا رأى محدِّثَه عابساً أنشد:

يا عابساً كلَّما طالعتُ مجلسَه ... كأنّ عَبستَه من ذَرْقِ حَمَّاءِ

وإذا رأى واحداً يُحسِن عند الإحسان عليه، ويسيء القول إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد:

هو كالكلب إذا أشبعتَه ... طاب نفساً وإذا ما جاع هَرْ

وإذا رأى رجلاً راضياً بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد:

وإنَّ قليلاً يستر الوجه أن يُرى ... إلى الناس مبذولاً لَغَيْرُ قليلِ

وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد:

إني رأيت بباب دارك جفوةً ... فيها لِحُسنِ فَعالكم تكديرُ

وإذا رأى بشاشةً في وجه مُضِيف أنشد:

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه ... سُرور صادٍ وَرَدَ الماء

وإذا رأى رجلاً مُقِلاً سخياً أنشد:

وليس الفتى المُعطي على اليُسرِ وحدَه ... ولكنّه المعطِي على اليسر والعسرِ

وأبلغ منه قوله:

لـيس العطـاءُ مـن الكـريم سـماحةً حتـى يجـودَ ومـا لديـه قليـلُ

وإذا شم رائحةً كريهةً من جليسه أنشد:

لَقَـوسُ سـليمٍ حـين يُرسِـلُ سـهمَه أشدُّ عـلى الآنـاف مـن قَـوس حاجـبِ

وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد:

لا تَلُـمِ الأبنـاءَ في فِعلهـمْ لـو سـادَ آبـاؤهُمُ سـادوا

وإذا عارضه في كلامه أحدٌ أنشد:

ويعـترضُ الكـلامَ ولـيس يـدري أَسَـعدُ اللهِ أكثـرُ أم جُـذامُ

وإذا جالس قوماً ليلَهُ مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفجر أنشد:

بِتْنَـا بـأنعمِ ليلـةٍ وألـذِّها لـو لم تَـنغَّصْ بـالفراق مـن الغـدِ

وإذا وَعَدَهُ رفيقٌ له بالسفر في غدٍ أنشد:

لا مرحبـاً بغـدٍ ولا أهـلاً بـه إن كـان تَرحـالُ الأحِبَّـة في غـدِ

وإذا تألم من عَشيرِهِ وصديقه أنشد:

ولي صـاحب مـرُّ المـذاق كـأنّما أضـمُّ إلى نحـري بـه حـدَّ مُنـصُلِ

وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد:

بم استجَزت اطِّراحي والـصَّريمةَ لي وأنـت لُحمِـيْ وإن لم تُـدْعَ لي ودَمِـي

وإذا عاتب مَن أَخْلَف وَعْدَهُ أنشد:

سـألتُك حاجـةً فوعـدتَ فيهـا جميلَـك ثـم نِمـتَ عـن الجميـلِ

وإذا لم يعجبه إنسانٌ أنشد:

قـد رأينـاك فـما أعجبتنـا وبلونـاك فلـم نَـرْضَ الخُـبُرْ

وإذا هجاه أحدٌ أنشد:

وما كلُّ كلبٍ نابحٍ يستفزُّني ولا كلَّما طَنَّ الذباب أُراعُ

وإذا أحسَّ بتقصيرٍ في سياسةِ أميرٍ لرعيته نَسَبَ الأمْرَ لوزيره، وأنشد:

إذا غَفَلَ الأمير عن الرعايا فإن العتْبَ أولى بالوزيرِ

وإذا ذُكِر له كبرُ سنِّه أنشد:

إنَّ الحسام وإنْ رثَّتْ مضارِبُه إذا ضربتَ به مكروهةً فَصَلا

وإذا أثنى على محسن أنشد:

فعاجُوا فأثنَوا بالذي أنت أهلُه ولو سكتوا أثَنتْ عليك الحقائب

وإذا رأى من والٍ إساءةً على من وَلِيَ عليه أنشد:

وكنا نستطبُّ إذا مَرِضنا فصار سَقامُنَا بيد الطبيبِ

وإذا حضَر أناسٌ على أمرٍ ذي بال أنشد:

أقول لفتيانٍ كرام تروَّحوا على الجُرد في أفواههن الشكائم
قَعُوا وَقعةً مَنْ يَحْيَ لم يَخْزَ بعدها ومن يُخْتَرَمْ لم تتَّبعه المَلاومُ

وإذا سُرّ بُلقيا صديقٍ له أنشد:

يا خَلاصَ الأسيرِ يا فرحةَ الأو بة يا زورةً على غير وعدِ

وإذا أعار أخاً له دفتراً فأبطأ عليه بردِّه أنشد:

تعجيل ردِّ الكُتْبِ مما به يَستكثِرُ العلمَ أخو العلمِ
وحبسُها يمنع مِن بَذْلِها مع الذي فيه من الظُّلمِ

وإذا عاد مريضاً ذا مودّةٍ صادقة أنشده:

نفسي ونفسُك إن أبْلَلْتَ من سقم أبللتُ منه وإن أضناكَ أضناني

وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده:

فــلا تكثِــرنْ في إثــرِ شيءٍ ندامــةً إذا نَزَعَتْــهُ مــن يــديك النّــوازعُ

وإذا عُوتِب على إهانته للمال وكثرةِ بذلِهِ أنشد:

كيف يَسْطِيع حِفْظَ ماجمعت كفَّــ ــــاهُ مَــنْ ذاق لــذةَ الإنفــاقِ

وإذا مشى لأخ في قضاء حاجة ووفى بحقه أنشد :

حقــوق لإخــواني أريــد قــضاءها كــأنيَ مــا لم أقــضهن مــريض

وإذا أثنى على إنسان، ورأى منه شروداً ونُفْرَةً أنشد :

بطــيءٌ عنــك مــا اســتغنيتَ عنــه وطــلاعٌ عليــك مــع الخطــوب

وإذا أراد شيئا عاناه ليلاً أنشد :

والليــل يقظــانُ والكواكــبُ في الــ آفــاق حــيرى كــاللؤلؤ البَــدَدِ

وإذا استبطأ صديقاً له، وعاتبه على قعوده عنه أنشد:

وإنيْ إذا أدعــوك عنــد مُلَمَّــةً كداعيــةٍ بــين القبــور نــصيرَها

وإذا ذم أخاً له في إساءته إلى إخوانه أنشد :

أصــبح أعــداؤه عــلى ثقــةٍ منــه وإخوانُــه عــلى وَجَــلِ

وإذا شكا من جارٍ له هَجره أنشد :

دنــت بأنــاسٍ عــن تنــاءٍ زيــارةٌ وشــط ببكــرٍ عــن دنــو مزارُهــا

وإن مقــيمات بمنقطــع الثــرى لأقــرب مــن لــيلى وهاتيــك دارهــا

وإذا تذكر أياماً مضت وكان يشكوها، وهو اليوم يتمناها أنشد:

ســقيا ورعيــاً لأيــام مــضت ســلفا بكيــت منهــا فــصرت اليــوم أبكيهــا

كــذاك أيامُنــا لاشــك نَنْــدِبُها إذا تَقَــضَّتْ ونحــنُ اليــومَ نــشكوها

وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد:

تَلِجِّين حتى يـذهبَ الهجـرُ بـالهوى وحتـى تكـاد الـنفسُ عنـك تطيـب

وإذا عوتب في خَصْلةٍ أو بادرةٍ بَدَرَتْ منه أنشد:

وَلَـسْتَ بمـستبقٍ أخـاً لا تلمُّـهُ عـلى شـعثٍ أيُّ الرجـالِ المهـذبُ

وإذا قيل له قد أَسَنَّ فلانٌ وَكَبِرَ أنشد:

لم ينـتقصْ منـى المـشيبُ قُلامَـةً الآن حـين بـدا أَلَـبُّ وأكـيس

وإذا فسد عند أخٍ له صحةَ ودِّه إياه أنشد :

قـل مـا تـشاء ليـؤتى ومـا كرهـت لِيُكْـرَهْ

فـإن ذلـك أولى بـما تـشاء وأشـبهْ

وإذا مات له ولد أنشد :

كَـلَّ لِـساني عـن وَصْـفِ مـا أَجِـدُ وذقـتُ ثكْـلاً مـا ذاقـه أحـد

ما عـالج الحُـزْنَ والحـرارةَ في الأحـ ـشاء مَـنْ لم يَمُـتْ لـه ولـدُ

وإذا حثَّ إنساناً على الإحسان وخوَّفه صروفَ الدهر أنشد:

بيننـا حُرمـةٌ وعَهْـدٌ وثيـقُ وعـلى بعـضنا لـبعض حقـوقُ

فـاغتنم لَـذَّةَ الحفـاظِ فـما يـد ري مُطيـقٌ لهـا متـى لا يطيـق

وإذا رأى خليلا له قد حَفَّتْ به أربابُ الحاجاتِ، وكان أمره في الأول أقرب أنشد :

حَيَّـاك مَـنْ لم تكـن تُرْجَـى تحيتُـه لـولا الحـوائجُ مـا حَيَّـاك إنـسانُ

وإذا رأى أحداً غَضِبَ من أمرٍ، ولم ينفعْه غضبُه أنشد :

غَـضِبَتْ تمِـيمٌ أن تُقَتَّـلَ عـامرٌ يـومَ النـسار فـأعتبوا بالـصيلم

وإذا رأى السلطانَ عزم على الغزو، ونهض إلى العدو أنشد:

يومـــان: يـــومُ مقامـــاتٍ وأنديـــةٍ ويـــومُ ســـيرٍ إلى الأعـــدا وتأويـــبِ

وإذا رأى أمراً مُعْضِلاً، وصبر عليه، وعوتِبَ في ذلك أنشد :

ومِـنْ خِـيرِ مـا فينـا مـن الأمـر أننـا متـى نَلْـقَ يومـاً مـوطنَ الـصبر نَـصْبِرِ

وإذا قال له أخٌ إنه اشتاق له اشتياقاً شديداً أنشد :

فلـما تواقفنـا عرفـت الـذي بـه كمثل الـذي بي حـذْوَكَ النعـلَ بالنعـلِ

وإذا مر بأطلال خَلَتْ من سكانها، وعَفَتْ، وبقي أثرُها أنشد:

لخولـــةَ أطـــلالٌ ببرقـــة ثَهْمَـــدِ تلـوح كبـاقي الوشـم في ظـاهر اليـد

وإذا حضر مجلساً لمناظرة، وسئل عن حاله فيه بعده أنشد :

ولـــو شَـــهِدَتْ أُمُّ القديـــدِ طعانَنـــا بِمَـــرْعَشَ خَيْـــلَ الأرمنـــيِّ أَرَنَّـــتِ

وإذا قيل له: رأيناك أعرضت عن فلان إعراضَ مسالمةٍ أنشد:

ولقـــد أجمـــع رجـــلي بهـــا حـــذرَ المـــوتِ وإني لَفَـــرورْ

وإذا استشير في أمر ذي لَبْسٍ أَيُقْدِمُ عليه أم يحجم عنه أنشد:

مكانَـكِ حتـى تنظـري عَـمَّ تـنجلي عمايـــةُ هـــذا العـــارضِ المتـــألقِ

وإذا أكثر من ذكر أخٍ له غائب، وقيل له في ذلك أنشد:

أريـــد لأنـــسى ذكرهـــا فكـــأنما تَمَثَّـــلُ ليْ لـــيلى بكـــل ســـبيلِ

وإذا قال له صديق تناسيتني كأنك لم تَعْرِفْني أنشد:

تسلت عمايـاتُ الرجـالِ عـن الـصِّبا ولـيس فـؤادي عـن هواهـا بمنـسلي

وإذا حضر رئيسٌ من الرؤساء، وأراد مَدْحَه أنشد:

لـو نـال حـيٌّ مـن الـدنيا بمكرمـة أُفْـقَ الـسماء لنالـت كَفُّـه الأفقـا

وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه أنشد:

طــوى البــينُ أســبابَ الوصــالِ بِكُنْهِــكَ أســبابُ الهــوى أن تُخَــدَّما

وينشد أيضاً في مثل ذلك:

وكــان يــزورني منــه خيــالٌ فلــما أن جفــا منــع الخيــالا

وإذا رأى رجلاً يثنى على أخيه، ويُحْضِرُ له محضراً جميلاً أنشد:

قَــوْمٌ لهــم عرفــت مَعَــدُّ بفــضلها والحــقُّ يعرفــه ذوو الألبــاب

وإذا قيل له قد أقررت لمناظرك أنشد :

أحــس بالفــضل في غــيري فــأنكره مــا ينكــر الفــضل إلا كــلُّ منقــوص

وإذا رأى رجلاً يَنْتَقِصُ فاضلاً أنشد :

مــا ضرَّ تَغْلِــبَ وائــلٍ أهجوتَهــا أم بُلْــتَ حيــث تنــاطَحَ البحــران

وإذا أقصاه رئيسٌ بعد إنابته أنشد :

يــا أفــضل النــاس إني كنــتُ في نَهَــرٍ أصــبحتُ منــه كمثــل المفــرد الــصادي

وإذا كلَّفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضي أنشد :

لم أكــن مــن جُناتهــا علــم الــلّــ ــــه وإني بِحَرِّهــا اليــوم صــالي

وإذا رأى أمراً فظيعاً تَقَضَّى، ثم تجدد مثله أنشد :

إذا لهــب مــن جانــب بــاخ شَرُّهُ ذكــا لهــبٌ مــن جانــب فَتَــضَرَّما

وإذا حضر مَحْفِلاً من محافل النظر، وكَلَّمه خصمٌ، فدفعه، وانبرى له خصم آخر أنشد:

إذا مــا دفعنــا هــؤلا جــاء هــؤلا إلينــا فكــل بالعــداوة مُوْلَــعُ

وإذا كثر الصياح في المحفل أنشد :

يـا أيهـا الراكـبُ الـمُزْجِيْ مَطِيَّتَـه سـائل بنـي أسـد مـا هـذه الـصوتُ

وإذا قيل له كثر أخصامُك أنشد :

تفـور علينـا قِـدْرُهم فَنـدِيمُها ونَفْثَؤهـا عنـا إذا حَمْوُهـا غـلى

وإذا بدأه سائلٌ بالسؤال مناظراً له أنشد :

قَرِّبـا مـربطَ النعامـةِ مِنِّـي لَقِحَـتْ حـربُ وائـلٍ عـن حيـال

وإذا نعي له حميمٌ أو ذو مودةٍ أنشد :

ليس عَـدْمُ الأمـوال عَـدْماً ولكـن فقـد مـن قـد رُزِئْتَـهُ الإعـدام

وإذا حضر حَضْرَةَ ملكٍ، وبالغ في الثناء عليه أنشد :

وأنـك شـمسٌ والملـوك كواكـبٌ إذا طلعـت لم يبـد مـنهن كوكـب

وإذا فخر بمن تقدم من العلماء والكبراء أنشد :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنـا وإن نحـن أومأنـا إلى النـاس وَقَّفـوا

وإذا أثنى على رجلٍ معطاءٍ أنشد :

لـيس يعطيـك للرجـاء وللخـو فِ ولكـنْ يَلَـذُّ طعـمَ العطـاء

وإذا قصد امرأً في حاجة، وكرر الزيارةَ له، ولم يَرَ ما يحبه أنشد:

كفـى طلبـاً لحاجـة كـلِّ حـرٍّ مداومـةُ الزيـارةِ والـسلام

وإذا أخذ إنسان يتَّهم أحداً غيره أنشد :

رأيـت الحـرب يجنيهـا رجـال ويَـصْلى حَرَّهـا قـومٌ بـراءُ

قلت : وينشد في ذلك -أيضاً- قول القائل :

لم أكـن مـن جُناتهـا .....(البيـت المتقـدم)

وينشد في ذلك -أيضاً-:

وحملتني ذنبَ امرئٍ وتركتَهُ كذي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع

وإذا عارضه معارض في علة بلا علم أنشد :

أخو عديٍّ أمسى يساجلني ما لعديٍّ وما لذا العملِ

وإذا ذكر قوماً أشحاءَ أنشد :

دراهمهم لا تستطاع كأنها فريسةُ ليثٍ أحرزتْها مخالبُه

وإذا قيل له أرضيت بكذا وأنت أعلى منزلة منه أنشد :

وما كنت أخشى أن أرى العير مَرْكبي ولكنَّ مَنْ يمشي سيرضى بما ركبْ

وإذا زار مريضاً أنشد :

ونعود سيدَّنا وسيد غيرنا ليت التَّشَكِّيَ كان بالعُوَّاد

وإذا حذَّر ناساً عدواً غفلوا عنه أنشد :

بني أمية إني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمناً زُفَرُ

وإذا ذكر صديقاً له بِنَقْضِهِ العهدَ أنشد :

ألم تَرَ ما بيني وبين ابنِ خالدٍ من العهد قد بالت عليه الثعالب

وإذا هدده عدوٌّ أو توعَّده أنشد :

فإن قناتَنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا

وإذا شُكِيَ أَخٌ له جنى عليه أنشد :

بل جناها أخٌ عليّ كريم وعلى أهلها بَراقِشُ تجني

وإذا رأى ذا بشاشةٍ وظاهره يبدى خلافه أنشد :

يبدي البشاشة حين تبصره وله إليك عقارب تسري

وإذا أساء إليه صديقٌ، وحَلُم هو عنه أنشد :

فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فإن الذي بيني وبينكم مُثْرِي

وإذا ذُكِرَ رجلٌ ببعد الغور أنشد :

ولم يخشوا مصالَتَهُ عليهم وتحتَ الرُّغوةِ اللبنُ الصريحُ

وإذا عزى إنساناً وآساه أنشد :

لكل همٍّ من الهموم سَعَهْ والمَسْيُ والصبحُ لا بقاءَ معهْ

وإذا كاتم إنساناً، وأضمر له ما يعرفه من التلون أنشد :

فإن الله لا يخفى عليه علانيةٌ تُرادُ ولا سِرار

وإذا رأى إنساناً تغيرت عن غِنىً حالُه أنشد :

إن الفتى يُقْتِرُ بعد الغنى ويَغتني مِنْ بَعْدِ ما يَفْتَقِرْ

وإذا قيل له مضى فلانٌ وَوَرِثَ وارثُه مالَه أنشد :

قد يجمع المالَ غيرُ آكلِه ويأكل المالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

وإذا رأى رجلاً أثنى على آخرَ وهو لا يعرفه أنشد :

لا تَحْمَدَنَّ امرأً حتى تُجَرِّبَهُ ولا تذمنه من غير تجريب

وإذا نُعِيَ له رجلٌ عظيمُ الشأنِ أنشد :

لما أتى خَبَرُ الزبيرِ تواضعت سورُ المدينةِ والجبالُ الخشع

وإذا جهل عليه جاهلٌ وللجاهلِ عدوٌّ حاضرٌ لا يجترئ عليه أنشد:

جهلاً علينا وجُبْناً عن عدوكم لبئست الخلتان: الجَهْلُ والجُبنُ

وإذا مات له خليل يعز عليه فَقْدُهُ أنشد :

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

وإذا قيل له استتر لك فلانٌ، وخدعك أنشد :

وقد كنت مجرورَ اللسان ومُفْحِماً فأصبحت أدري اليوم كيف أقول

وإذا ذكر إخوانَه الذين سلفوا أنشد :

أولئك إخوانُ الصفاءِ رُزِئْتُهُمْ وما الكفُّ إلا إِصْبَعٌ ثم إصبعُ

وإذا نَجُبَ ابنُ امرئٍ بعد موته أنشد:

لعمرك ما وارى الترابُ فِعالَه ولكنه وارى ثياباً وأعظماً

وإذا رأى رجلا يتكلف ما لا يستطيعه أنشد :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

وإذا استحقره قومٌ، وتعرضوا لأكبر منه أنشد :

ذباب طار في لَهَواتِ ليث

وإذا تجاهل عليه متجاهل أنشد :

إنا لَتُوْزَنُ بالجبال حلومُنا ويزيدُ جاهلنا على الجهال

وإذا نُعي له رئيسٌ من رؤساء مَحَلَّتِهِ أو عشيرته أنشد :

إذا شَذَّ منا سيدٌ قام سيدُ قؤول لما قال الكرام فعول

وأنشد أيضاً :

إذا قَمَرٌ منا تَغَوَّر أو خبا بدا قمرٌ من جانب الأُفْقِ يلمع

وإذا مطل إنسان وَوَعَدَ بَعْدُ أنشد :

فإن يكُ صدرُ هذا اليومِ ولَّى فإنَّ غداً لناظره قريب

وإذا رأى قوماً ذوي صور ولا أحلام لهم أنشد :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظمٍ جِسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافير

وإذا اقتضى صديقاً وعداً أنشد :

قـضى كـلُّ ذي ديـنٍ فـوفَّى غريمَـه وعـــزةُ ممطـــولٌ مُعَنّـــىً غريمُهـــا

وإذا شَيَّع فريقين، وأخذ كلُّ واحدٍ غيرَ طريق الآخر أنشد :

فريقـان مـنهم سـالكٌ بَطْـنَ نخلـةٍ وآخـرُ مـنهم سـالكٌ نَجْـدَ كَبْكَـبِ

وإذا لم يَزُرْهُ أخوه زاره هو وأنشد :

أزوركـمْ لا أكـافيكم بجفـوتكم إن المحـــــبَّ إذا لم يُـــــسْتَزَرْ زارا

وأنشد أيضاً :

ومـا كنـت زواراً ولكـنَّ ذا الهـوى إذا لم يُـــزَر لابـــد أنْ ســـيزور

وإذا وصف رجلاً بالعفة والإعراض عن الزنا أنشد :

والله لـو كانـت الـدنيا وزينتُهـا في بطـــن راحتـــه يومـــاً لألقاهـــا

وإذا قيل له إن أمثالك قليل أنشد :

ومـا ضرنـا أنـا قليـل وجارنـا عزيـــز وجـــار الأكثـــرين ذليـــل

وإذا ولي رجلٌ ولايةً، وأثنى عليه بها أنشد :

وإذا الـــدر زانَ حُـــسْنَ وجـــوهٍ كـــان للـــدرِّ حُـــسْنُ وَجْهِـــكَ زَيْنـــا

وكان يتمثل لمناظره، ويعرض له أنه لم يبلغ المبلغ بقول الشاعر :

لا تحـسبِ المجـدَ تمـراً أنـت آكلُـه لـن تبلـغ المجـدَ حتـى تلعـق الـصَبِرا

وإذا ذُكِرَ له رجلٌ مضى، فَذَلَّت أتباعُه وبنو عمه بَعْدَ عِزٍّ أنشد :

فتـىً كـان مـولاه يَحُـلُّ بنجـوةٍ فَحَـــلَّ المـــوالي بعـــده بمـــسيل

وإذا رأى إنساناً ميسوراً له مطلاً ودفاعاً أنشد :

لقد جَرَرْتِ لنا حبلَ الـشَّموس فـلا يأســاً مُبينــاً نــرى مــنكم ولا طمعــا

وإذا رأى رجلاً همه نفسه لا غيره أنشد :

دعِ المكـــارمَ لا ترحـــل لبغيتهـــا واقْعُـدْ فإنـك أنـت الطـاعمُ الكـاسي

وإذا لاجَّه إنسانٌ، وطاوله أنشد :

إذا مـــا تحـــدثتُ في مجلـــسٍ تنـــاهى حـــديثي إلى مـــا علمـــتُ

وإذا رأى امرأً تأمَّل حاشيةَ زائره وغاشيتَه أنشد :

وإذا مـــا جهلـــتَ ودَّ صـــديقٍ فـــاعتبر مـــا جهلـــتَ بـــالغِلمان

إن وجـــهَ الغُـــلامِ يُخْـــبِرُ عـــما في ضـــمير المـــولى مـــن الكـــتمان

وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قوم غير كرام أنشد :

فَغُـضَّ الطـرفَ إنـك مـن نمـير فَأَصْـــلُهُمُ ومنبـــتهم لئـــيم

وإذا سبر حالَ صديقٍ له فلم يَحْمَدْه أنشد :

ومـا كـلُّ إخـوانِ الفتـى طـوعَ هَمِّـهِ ولا كـــلُّ عـــودٍ نابـــتٍ بِنُـــضار

وإذا توعده من لا يصدق في وعده أنشد :

فـــانظر إلى كـــفٍّ وأسرارهـــا هـــل أنـــت إن أوعـــدتني ضـــائري

وإذا نعي له شخص أنشد :

عـــلى صـــخر وأيُّ فتـــىً كـــصخر ليـــوم كريهـــة وسِـــداد ثغـــر

وإذا رأى رجلاً اتهم بِدِعْوَة أنشد :

زنـــيم تـــداعاه الرجـــال زيـــادةً كـــما زِيـــد في عـــرض الأديـــم الأكـــارعُ

وإذا رأى عدواً مخاشناً أنشد :

بنـــي تمـــاضرَ إني لا أحـــبكما ولا ألـــــومكما ألا تحبـــــاني

وإذا قعد عن صديق بعذر أنشد :

فلا بأس بالهجر الـذي لـيس عـرقلاً إذا شـجرت عهـدَ الحبيـبِ شـواجرُ

وربما وصل حديثه عن الزمن الأول بقوله :

إذِ النـاسُ نـاسٌ والزمـان بِغِـرةٍ وإذْ أمُّ عـمارٍ صـديقٌ مـساعف

وإذا ذُكِرَ رَجُلٌ بجود وسماحة أنشد :

يومـان يـومٌ يَفِـيْضُ نائلـه وخـير يـوم مـا يُقِيْـتُ غـدا

وإذا خُبِّر أن ولدَ رجلٍ نَجُبَ أنشد :

وهـل يُنْبِـتُ الخطـيَّ إلا وشـيجُه وتُغْـرَس إلا في منابتهـا النخـل

وإذا أسعفه رجلٌ في أمره أنشد :

أنـاةُ امـرئٍ يـأتي الأمـور بقـدرةٍ متـى مـا يَـرِدْ لم يعـيَ بـالأمر مـصدرا

وإذا مَرَّ بِدَارِ صديقٍ له أنشد :

ألا حَـيَّ الـديارَ بِـسعدَ إني أحـب لحـبِّ فاطمـةَ الـديارا

وإذا حضر مجلسَ مناظرةٍ، وطلب منه الكلامُ جثا على ركبتيه وأنشد:

ولا ينجـي مـن الغمـرات إلا براكـاءُ القتـالِ أو الفـرارُ

وإذا ناظره فتىً شابٌّ أنشد :

كيـف ترجـون سِـقاطي بعـدما جَلَّـلَ الـرأسَ مَـشِيْبٌ وصَـلَعْ

وإذا زاحمه خصماؤه وكثروا عليه أنشد :

إذا اجتمعـوا عـليَّ فَخَـلِّ عـنهم وعـن أُسـدِ مخالبـه دوام

إذا اجتمعـوا عـليَّ فَخَـلِّ عـنهم وخربـانٍ تَـصيدُ حُباريـاتِ

وإذا قيل له إن فلاناً في فضله فُضِّل عليه من دونه أنشد :

كم قد رأينا من أسدٍ بالت على رأسه ثعالب

وإذا قيل له -أيضاً- أنشد :

صرت كأني ذبالةٌ نُصِبَتْ تُضيء للناس وهي تحترق

وإذا استطال الليل أنشد :

أقول وليلتي تزداد طولاً أما لليل وَيْحَكُمُ نهارُ

وإذا مَرِضَ وعاده عُوَّادهُ أنشد :

وهل هي إلا عِلةٌ بعد عِلَّةٍ إلى العِلَّةِ الكبرى وتلك هي التي

وإذا رأى رجالاً لا حَمِيَّةَ ولا منعةَ فيهم أنشد :

إذا ما عُدَّ مثلَكم رجالٌ فما فضلُ الرجالِ على النساء

وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً أنشد:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن بمنزلة إلا رضيت بدونها

وإذا رأى ذا ضَغَنٍ صاحَبَ آخر أنشد :

إذا أنت لم تَسْقَمْ وصاحبت مُسْقِماً وكنت له خدناً فأنت سقيم

وإذا دخل عليه ثقيل أنشد :

أيا جبلي نعمانَ بالله خَلِّيا نسيمَ الصبا يَخْلُصْ إليَّ نسيمُها

وإذا جاد عليه بِنَزْرٍ يسير أنشد :

تُوْتيك نزراً قليلاً وهي خائفةٌ كما يخاف مسيسَ الحيةِ الفَرِقُ

وهذه جَمْعِيَّةٌ لم أظفر بمثلها، فرحم الله من فهمها وحفظها، وأورد كل بيت في محله؛ لِيجِلَّ عند خِلِّه.

القسم الثاني :

شرح كتاب (أبيات الاستشهاد)

للعلامة أحمد بن فارس اللغوي

شرح كتاب (أبيات الاستشهاد)

قال الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي اللغوي:

بلغنا أن رجلاً من حَمَلة الحُجَّة، ذا رأي سديد، وهمة بعيدة، وضِـرْس قاطع[1]، قد أعد للأمور أقرانها[2]، بلسانٍ فصيح، ونَهْج مليح.

١ - وكان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عَهِدَهُ، أنشدَه:

لـيس الخليـلُ عـلى مـا كنـتَ تَعهـدُه قـد بَـدَّل الله ذاكَ الخِـلَّ ألوانـا[3]

---

(١) ذو ضرس قاطع: أي: ماض في الأمور، نافذ العزيمة.(هـ)

(٢) الأقران: جمع قَرَن، بالتحريك، وهو الحبل يجمع به البعيران، أو جمع قِرن بالكسر، وأصله كُفْء الإنسان في الشجاعة، أو الكفء مطلقاً.(هـ)

(٣) البيت من البحر البسيط، ومعناه أن ذلك الصاحب قد تبدلت حاله، وتلوَّن ودُّه، ولم يكن كسالف عهده.

ونحوه قول الشاعر:

كـان لنـا صـاحبٌ فبانـا وحـاد عـن وصـلنا وخانـا
تـاه علينـا وتـاه منـا فـما نـراه ولا يرانـا

ومن أحسن من عبر عن تلون أهل الود أسامة بن منقذ، وذلك بقوله:

ومـا أشـكُو تلَـوُّنَ أهـلِ وُدّي ولـو أجْـدَتْ شَـكِيَّتُهم شـكوْتُ
مَلِلْـتُ عتـابَهم ويئـستُ مـنهُم فـما أرجـوهُمُ فـيمن رَجـوتُ
إذا أدْمَـتْ قَوارِصُـهُم فـؤادي كَظَمـتُ عـلى أَذَاهـم وانطويْـتُ
ورُحـتُ علـيهِمُ طَلْـقَ المُحَيَّـا كـأَنّي مـا سـمِعتُ ولا رأيـتُ
تجنَّـوْا لِي ذُنوبـاً مـا جنتْهـا يَـدايَ ولا أَمـرتُ ولا نَهيـتُ
ولا واللهِ مـا أضـمرتُ غـدْراً كـما قـد أظهَـروهُ ولا نَويـتُ
ويـومُ الحـشرِ موعـدُنا وتَبـدُو صـحيفةُ مـا جنَـوْهُ ومـا جنيـتُ

=

= وكذلك قوله:

مـــن قـــلّ فـــاهجره فقـــد أبـــدى لـــك اليـــأس المبينـــا
أعيـــا شِـــماسُ أخـــي التلـــ ـــــون والمـــلال الرائـــضينا
لـــن يرجـــع الفَخَّـــار بعـــ ـــــد تلافـــه بالكـــسر طينـــا

وقول ابن الرومي:

تَلَـوُّنُ أخـلاق الفتـى مـن مَلالـه وَوَشْـك مـلال المـرء شرُّ خلالـه

وقريب منه قول البحتري في تلون أهل الود، والصبر على ذلك:

أخٌ لي كأيـــام الحيـــاة إخـــاؤه تلـــونُ ألوانـــاً عـــلي خطوبُهـــا
إذا عبـــتُ منـــه خلّـــة فهجرتـــه دعتنـــي إليـــه خلـــة لا أعيبهـــا

٢- وإذا رأى محدِّثَه عابساً أنشد:

يـا عابـساً كلَّـما طالعـتُ مجلـسَه كـأنّ عَبـستَه مـن ذَرق حَمَّـاءِ[1][2]

---

(١) الذرق: النجو، والحماء: الأست، وفي الأصل: «ذوق حما».(هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، ومعناه: أن هذا المُحدَّث كالح الوجهِ عابسُه، فكأنه رأى نجواً وهو الغائط؛ فعبس بسبب رؤيته إياه.

وذلك من فرط عبوسه، وكزازته، وكلوحه، ومقابلته الناس باكفهرار، وتقطيب.

ونحوه قول الشاعر يصف شخصاً من هذا القبيل:

يـمارس نفـساً بـين جنبيـه كـزةً إذا هـمَّ بـالمعروف قالـت لـه مهـلاً

وقريب منه قول الآخر الذي ينهى عن العبوس:

ودع التيـه والعبـوس عـلى النـا س فـإن العبـوس رأس الحماقـة

وقول الشاعر الذي يحث على البشر والطلاقة:

وما اكتـسب المحامـد حامـدوها بمثـل البـشر والوجـه الطليـق

٣- وإذا رأى واحداً يُحسِن[1] عند الإحسان عليه، ويسيء القول إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد:

هــو كالكلــب إذا مــا[2] أشــبعتَه طــاب نفــساً وإذا مــا جــاع هَــرْ

---

(١) في الأصل: «يحسن به». (هـ)

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب بدون (ما) هكذا:

هــو كالكلــب إذا أشــبعتَه .....

أو أن تسهل الألف هكذا: (ما آشبعته) بحيث لو كتب كتابة عروضية لقيل: «مشبعته».

والبيت من بحر الرَّمَل، ومعنى هَرَّ: نبح، ورفع صوته بالنباح.

وقريب منه قول مسلم بن الوليد:

فالكلب إن جاع لم يعدمْك بصبصةً وإن يَنَــلْ شِــبعةً ينــبحْ عــلى الأثــر

وقول مسكين الدارمي:

أو حمــار الــسوء إن أشــبعته رمــح النــاس وإن جــاع نهــق
أو غــلام الــسوء إن جوَّعتــه سرق الجــار وإن يــشبع فــسق

٤- وإذا رأى رجلاً راضياً بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد:

وإنَّ قليلاً يستر الوجه أن يُرى إلى الناس مبذولاً لغَيْرُ قليلِ[1]

---

(١) البيت لسليم بن المهاجر الجيلي، وهو من البحر الطويل، ومعناه: أن الشيء القليل الذي يصون ماء الوجه عن الانكساف بسواد المطالب ـ لَكَثِيْرٌ في الحقيقة؛ لأنه رفع من قيمة صاحبه، ولم ينزل به إلى الابتذال، وذل السؤال.

وقبله:

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه به الله عن غشيان كلِّ بخيل
فما عشت لم آتِ البخيل ولم أَقِمْ على بابه يوماً مقام ذليل

انظر المستطرف للأبشيهي ١/ ١٥٩

ونحوه قول عبدالله بن طاهر:

وإن أناساً يصبرون تعففاً على فقد عادات الغنى لكرامُ

وقول الخريمي:

العيش لا عيش إلا ما قنعتَ به قد يكثر المالُ والإنسان مفتقرُ

وقريب منه قول ثعلب:

من عفَّ خفَّ على الصديق لقاؤهُ وأخو الحوائج وجهه مبذولُ
وأخوك من وفَّرت ما في كيسه فإذا استعنت به فأنت ثقيل

وقريب منه ـأيضاًـ قول أبي فراس الحمداني:

إن الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه ولو آنه عاريْ المناكبِ حافي
ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً فإذا قنعت فكلُّ شيءٍ كافي

وقول الشاعر:

صُنْ ماءَ وجهك عن ذل السؤال ولو أتاك إهراقه بالمال والخَوَلِ
إن القناعة لم تخلعْ ملابسَها إلا على رجل ناهيك من رجل

=

= وقول الأبرش:

انبل بنفسك أن تكون حريصةً ... إن الحريص إذا يُلِحُّ يهانُ
من يكثرِ التَّسْآل من إخوانه ... يستثقلوه وحظُّه الحِرمانُ

وقول أبي تمام:

وما أبالي وخيرُ القول أصدقه ... حقنت لي ماءَ وجهي أو حقنت دمي

وقول أبي الطيب المتنبي:

وإن بَذَلَ الإنسانُ لي جودَ عابس ... جزيت بجود التارك المتبسّم

وقول الشاعر:

أقْسِمُ بالله لرضخُ النوى ... وشربُ ماء القُلُبِ المالحةْ
أعز للإنسان من حرصه ... ومن سؤال الأوجه الكالحةْ
فاستشعر الصبر تَعِشْ سالماً ... مغتبطاً بالصفقة الرابحةْ

وقال آخر:

صِنْ بِعِزِّ اليأسِ عنهم أبداً ... ماءَ ديباجك عن بذل النوال
ليس شيءٌ من نوالٍ تبتغي ... قيمةً للوجه من ذل السؤال

٥- وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد:

إني رأيـــت ببـــاب دارك جفـــوةً فيهـا لِحُـسنِ فَعـالكم تكـديرُ[1][2]

(١) لجحظة البرمكي كما في ديوان المعاني ١: ١٦٣ برواية: «لكن رأيت».(هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، ومعناه: أنني رأيت من حجابك، أو إغلاق بابك من الجفاء ما كدَّر معروفك عندي.

والحاجب معروف عند الأوائل، ويعرف في العصر الحاضر بمدير المكتب، أو السكرتير، أو نحو ذلك، وقد يطلق على الحارس، أو نحوه.

وبعده:

مـا بـال دارك حـين تُـدْخَلُ جنـةً وبـبـــاب دارك مُنْكَـــرٌ ونكـــير

وهذا معنىً مطروقٌ تتابع عليه الشعراء.

ومنه قول أحدهم:

ما ضـاقت الأرض عـلى راغـب يقَلَّـــب الـــرزق ولا هـــارب
بل ضـاقت الأرض عـلى طالـب أصـبح يـشكو جفـوة الحاجـب

ومنه قول آخر:

كـم مـن فتـىً تَحمـدُ أخلاقَـه وتـــسكنُ الأحـــرارُ في ذمتـــه
قـد كثّـر الحاجـبُ أعـداءَه وســلّط الـــذم عـــلى نعمتـــه

وقول أسامة بن منقذ:

تلـقَّ ذوي الحاجـات بالبـشر إنـه إلى كرماء الناس أشهى مـن الجـدا

والجدا: العطاء.

وقال أبو تمام:

إذا لم نجد لـلإذن عنـدك موضـعاً وجَـدْنا إلى تـرك المجـيء سـبيلا

وقال:

ما لي أرى الحجرةَ البيضاءَ مقفلةً دوني وقد طالما اسْـتَفْتَحْتُ مُقْفلَهـا
أظنهـا جنـةَ الفـردوس مُعرضـةً ولـــيس لي عمـــلٌ زاكٍ فأدخلهـــا

=

= وقال بعض الشعراء في ذم بعض الحُجَّاب:

سأترك باباً أنت تملك إذنه وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالك

وقال نويت اليماني:

على أي باب أطلب الإذن بعدما حُجبت من الباب الذي أنا حاجبه

وقال ابن الرومي:

له صاحب دونه حاجب وحاجب حاجبه محتجب

وقال ابن عبدل يمدح من يُسَهِّل بابه، ولا يبالغ في وضع حجابه:

ولو شاء بِشْرٌ كان مِنْ دون بابه طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ حُمْرُ
ولكن بِشْراً سَهَّل الباب للتي تكون لبشر دونها الحمد والأجر
بعيد مرادِ العين ما ردَّ طرفَه حِذار الغواشي باب دار ولا سِتْرُ

يعني بالطماطم: العُجْم، والصقالبةِ: جيل حمر من الروم والخَزَر.

وأجمل من ذلك كله قول جحظة البرمكي فيمن يحتجبون عن ذوي الحاجات:

إن حال دون لقائكم بَوَّابُكم فالله ليس لبابه بوابُ

وقول الشيخ المكَّودي:

إذا عرضت لي في زماني حاجةٌ وقد أشكلت فيها علي المقاصدُ
وقفت بباب الله وقفةَ ضارعٍ وقلت: إلهي إنني لك قاصدُ
ولست تراني واقفاً عند باب مَنْ يقول فتاهُ: سيدي اليوم راقدُ

٦- وإذا رأى بشاشةً في وجه مُضِيف أنشد:

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه سُرور صادٍ وَرَدَ الماء[1]

(١) البيت من بحر الرجز، ومعناه: أن هذا المضيف يفرح بأضيافه إذا رآهم مقبلين عليه كفرح الظمآن إذا ورد الماء، وقريب منه قول القائل:

بشاشةُ وجهِ المرءِ خيرٌ من القِرَى فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحكُ

وقول أبي تمام:

ومُرَحِّبٍ بالزائرين وبِشْرُه يغنيك عن أَهلٍ لديه ومَرْحَبِ

يعني: أن طلاقته تغنيك عن قول: أهلاً ومرحباً.

وقول البحتري:

مُتَهَلِّلٌ طَلْقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أتبعَ بِشْرَه بالنائل

وقوله:

إنما البشر روضةٌ فإذا أعـ ـقب بذلاً فروضة وغدير

وقول المعري:

إذا الضيف جاءك فابسم له وقرِّب إليه وشيك القرى

وقال ابن هَرْمة:

وما غَيَّرتني ضُجرةٌ من تكرمي ولا عاب أضيافي غناي ولا فقري

ومعنى ضُجْرة: قلق، وغمٌّ، وتَبَرُّم.

وعكس المعنى السابق الذي يصف البشاشة في وجه المضيف ـ قولُ الآخر الذي يتلقى ضيفه بالجفاء:

وإنا لنجفو الضيف من غير عُسرةٍ مخافة أن يَضْرى بنا فيعود

أي: إننا لا نبدي للضيف البشاشة، وإنما نظهر له الجفاء؛ حتى لا يعتاد المجيء إلينا.

٧- وإذا رأى رجلاً مِقلاً سخياً أنشد:

وليس الفتى المُعطي على اليُسرِ وحدَه ولكنّه المعطِي على اليسر والعسرِ[1]

---

(١) البيت لدعبل الخزاعي كما في ديوانه ١/ ١٨٢، وهو من البحر الطويل، ومعناه: أن السخيَّ حقاً هو الذي يعطي حال غناه، وحال فقره.

أما الذي لا يسخو إلا إذا أيسر فحسب؛ فإن سخاءه ناقص، بخلاف من يسخو في الحالين؛ فإن سخاه ههنا دليلُ كرمٍ متأصل في نفسه، بغَضِّ النظر عن كثرة ما بذله أو قلته؛ فالعبرة بجود النفس، وسخائها، واهتزازها للعطاء، كما قال الأول:

من لم يواسِكَ في قليل لم يواسِك في الكثير
والحق يلزم في الكثير وليس يسقط في اليسير

وكما قال الآخر:

إذا تكرَّمت عن بذل القليل تَقْدِرْ على سعة لم يَظْهرِ الجودُ
بُثَّ النوال ولا تمنعْك قِلَّتُه فكلَّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

وأبلغ منه قوله:

لـــيس العطـــاءُ مـــن الكـــريم ســـماحةً حتـــى يجـــودَ ومـــا لديـــه قليـــلُ[1][2]

---

(١) للمقنع الكندي، حماسة أبي تمام ٢: ٣٤٣ والمضنون به على غير أهله ٥٦، وإنشاده فيهما:

لـيس العطـاءُ مـن الفـضول سـماحةً حتى تـجـــود وما لديك قليـــل(هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، ومعناه: أن المعطيَ حقيقةً والجوادَ كلَّ الجوادِ هو الذي يعطي عن قلة؛ لأنه أَلِف الجود، والإيثار.

وقريب منه قول القائل:

ليس جودُ الفتيان من فَضْلِ مالٍ إنـــما الجـــودُ لِلمُقِـــلَّ المـــواسي

٨- وإذا شم رائحةً كريهةً من جليسه أنشد:

لقوسُ سليمٍ حين يُرسِلُ سهمَه أشدُّ على الآناف من قَوس حاجبِ[1][2]

---

(١) قوس حاجب مضرب المثل في العزة، وهو حاجب بن زرارة التميمي، ومِنْ خَبر قومه أنه أتى كسرى في جدب أصاب قومه بدعوة النبي ﷺ فسأله أن يأذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده؛ حتى يحيوا ويمتاروا، فقال لهم كسرى: إنكم معشر العرب قوم غدر، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادي، وأغربتم عليَّ رعيتي.

فقال حاجب: أنا ضامن لِلْمَلِك ألا يفعلوا، قال: فمن لي بأن تفي؟ قال: أرهنك قوسي، فضحك من حوله.

فقال كسرى: إنه لا يتركها أبداً، وقبلها منه، وأذن له في دخول الريف.

انظر ثمار القلوب للثعالبي ٥٠١. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعناه: أن تلك الرائحة الكريهة أشد على الآناف -جمع أنف- من فراق تلك القوس العزيزة على نفس حاجب بن زرارة.

يعني أن تلك الرائحة بالغة في الكراهة غايتها، وقريب من ذلك في المعنى -أي في شدة كراهة الرائحة- قول الأول:

أثني عليَّ بما علمتِ فإنني مُثْنٍ عليك بمثل ريح الجوربِ

وقول الآخر:

وأنتن من هدهد ميت أصيب فَكُفّن في جوربِ

ونحوه قول حسان:

كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريحُ الكلاب إذا ما مسها المطرُ

قال أبو هلال العسكري رحمه الله تعليقاً على البيت: «قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال: (إذا ما مسها المطر) فجاء بتميم حسن». ديوان المعاني ١/ ٣٨٣

وقريب منه:

يزداد لؤماً على المديح كما يزداد نَتْنُ الكلابِ بالمطرِ

٩- وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد:

لا تَلُـــمِ الأبنـــاءَ في فِعلهـــمْ لـــو ســـادَ آبـــاؤهُمُ ســـادوا[1]

(١) يعني أن طبائع الآباء سرت إلى الأبناء؛ فالولد -كما يقال- سر أبيه.

ولا يلزم ذلك بكل حال؛ فالله -عز وجل- يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي.

وقريب منه قول الشاعر:

تلـك العـصا مـن هـذه العـصيهْ لا تلـــد الحيـــة إلا حيـــهْ

وقول ابن أبي حصينة:

أفعـالُ مَـنْ تلـدُ الكـرام كريمـةٌ وفعـالُ مَـنْ تلـدُ الأعـاجمُ أعجـمُ

وقول الآخر:

ترجو الـصغيرَ وقـد أعيـاك والـده ومـا رجـاؤك بعـد الوالـدِ الولـدا

وقول ابن ميادة:

ومـا العـود إلا نابـت في أرومـةٍ أبـى شـجر العيـدان أن يتغـيرا

الأرومة: الأصل.

وقول إلياس فرحات:

من كـان في حجـر الأفـاعي ناشـئاً غلبـت عليـه طبـائع الثعبـان

وقريب من هذا المضرب ما في المضربين ٩١ و ١١٩

١٠ - وإذا عارضه في كلامه أحدٌ أنشد[١]:

ويعــترض الكــلامَ ولــيس يــدري أَسَـــعدُ اللهِ أكثـــرُ أم جُـــذامُ[٢][٣]

---

(١) لعل الصواب أن يقال: وإذا عارضه في كلامه أحدٌ بلا برهان أو بيِّنة، أو نحو هذا؛ لأن مجرد المعارضة لا عيب فيها، فقد يكون الحق مع المعارِض، كما بيَّن ذلك ابن فارس في المضرب رقم ٧٠.

(٢) سعد الله: هم بنو سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله ﷺ وظئره حليمة السعدية منهم، وهم مخصوصون من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان.

وجذام قبيلة أخرى: من أمثال العرب: أسعد الله أكثر أم جذام.

وهما حيان بينهما فضل لا يخفى.

وقال أبو عبيد: يروى عن جابر بن عبدالعزيز العامري -وكان من علماء العرب- أن هذا المثل قاله حمزة بن الضليل البلوي لروح بن زنباع الجذمي:

لقد أَفْحِمْتَ حتى لستَ تدري أســعد الله أكثــر أم جــذام

الميداني ٢: ١٤٧، وثمار القلوب ٢١، وأنشد في ثمار القلوب للصاحب إسماعيل ابن عباد:

كتبت وقد سَبَتْ عقليْ المـدامُ وساعدني على الـشرب النـدامُ
وأسرفنـا فـما نـدري لِـسُكرٍ أســعدُ الله أكثــرُ أم جُــذامُ

(هـ)

(٣) وهذا البيت من البحر الوافر، وقد جرى مجرى المثل، ويضرب للمخلط الجاهل الذي يتكلم بما لا يعلم.

وقريب منه قول زهير:

وذي خطل في القول يحسب مصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائله
عَبَأْتُ له حلمي وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٧٠.

١١- وإذا جالس قوماً ليلَهُ مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفجر أنشد:

بِتْنَـــا بـــأنعم ليلـــة وألـــذِّها لـــو لم تَـــنغَّصْ بـــالفراق مـــن الغـــدِ[1]

(١) البيت من البحر الكامل، ومعناه: أننا بتنا تلك الليلة بأنس وسرور، ولم يكدِّر ذلك إلا تذكر الفراق عند إشراق الصباح، كما قال أبو الطيب المتنبي:

أشـــدَّ الهـــمِّ عنـــدي في سرور تـــيقّن عنـــه صـــاحبه انتقـــالا

وقول الآخر:

أَحِبُّ ليـالي الهجـر لا فرحـاً بهـا عسى الـدهر يـأتي بعـدها بوصـال
وأكـــره أيـــامَ الوصـــال لأننـــي أرى كـــلّ وصـــلٍ محكـــماً بـــزوال

وقريب منه -أي في قصر أوقات السرور- قول عمر بن أبي ربيعة:

فيالـك مـن ليـل تقـاصر طولُـه ومـا كـان لـيلي قبـل ذلـك يَقْـصُر

وقول أبي تمام:

وأيـــامُ الهمـــومِ مقصـــصاتٌ وأيـــام الـــسرور تطـــير طـــيراً

وقول ابن المعتز:

وليلـــةٍ كـــاد مِـــنْ تَقاصُرِهـــا يعثـــر منهـــا العـــشاء بالـــسحر

وقول الآخر:

ليـلُ المحبـين مطـويٌّ جوانبـه مـشمر الـذيل منـسوب إلى القـصر
مـا ذاك إلا لأن الـصبح نـمَّ بنـا فأطلع الشمس من غيظ على القمـر

وقول الآخر:

هـــذه ليلـــة لهـــا بهجـــة الطـــا ووس حسناً واللـون لـون الغـدافِ
رَقـــد الـــدهر عنـــدها فانتبهنـــا وسرقنـــا حـــظ الـــسرور الـــشافي

الغداف: الغراب.

١٢ - وإذا وعده رفيق له بالسفر في غدٍ أنشد:

لا مرحبـــاً بغـــدٍ ولا أهـــلاً بـــه إن كـــان تَرحـــالُ الأحِبَّـــة في غـــدِ[1][2]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها:

مـــن آل ميـــة رائـــح أو مغتـــدي عجـــلان ذا زاد وغـــير مـــزود

والرواية المشهورة: «إن كان تفريق الأحبة». (هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، والمعنى: لا مرحباً بغدٍ ولا سعةٍ، أي: إذا كان تفريقنا في غدٍ فأبعده الله، ولا جاء به.

وقريب منه قول أبي تمام في وداع صديقه الشاعر علي بن الجهم:

هي فُرْقَةٌ من صاحبٍ لك ماجـدٍ فغـــداً إذابـــةُ كـــلَّ دمـــع جامـــدِ

وقول الآخر:

وما الدهر إلا هكذا فاصـطبر لـه رزيئـــة مـــال أو فـــراق حبيـــب

ونحوه قول عمر بن أبي ربيعة:

تَـــشُطّ غـــداً دار جيراننـــا وللـــدار بعـــد غـــدٍ أبعـــدُ

وقول الآخر:

وغداً ومـا أدنـاه لا يبقـى سـوى دمـــع لنـــا يهمـــي وســـنٍّ نقرعـــه

١٣ - وإذا تألم من عشيرِهِ وصديقه أنشد:

ولي صـــاحبٌ مـــرُّ المـــذاق كـــأنّما أضمُّ إلى نحري بـه حـدَّ مُنـصُـَل[1][2]

(١) المُنْصُل: بضم الميم مع ضم الصاد وفتحها: السيف.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى: أن هذا الصاحب مؤذٍ قُرْبُهُ ومعاشرته؛ فكأنه سيف قربته من نحري؛ فيوشك أن يقضي علي.

وقريب منه قول القائل:

لي صـــاحب لـــيس يخلـــو لـــسانه مـــن جـــراحِ
يُجِيْـــدُ تمزيـــقَ عِـــرْضي عـــلى ســـبيل المـــزاحِ

وقول البارودي:

وأصعب ما يلقى الفتى مـن زمانـه صحابةُ مَنْ يَشْفِي مـن الـداءِ فَقْـدُهُ

وقال الثعالبي: «أحسن ما قيل في شكاية الإخوان قول بعضهم:

مـــن رأى في الأنـــام مثـــل أخٍ لي كـــان عـــوني عـــلى الزمـــان وخـــلي
رَفَعَتْـــهُ حـــالٌ فحـــاول حطَّـــي وأبـــى أن يَعـــزَّ إلا بِـــذُلِّي

أحسن ما سمعت للثعالبي ص٣٤

وقال آخر:

تَمَلّقْتُـــهُ جَهـــدي فلـــما رأيتـــه إذا لان منـــي جانـــبٌ عـــزَّ جانبـــه
جريـتُ لـه في الـصدر منـي مـودةً وخلّيـت عنـه مهمـلاً لا أعاتبـه

١٤ - وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد:

بم استجَزت اطِّراحي والصَّريمةَ لي وأنت لحمي وإن لم تُدْعَ لي ودَمِي[1][2]

(١) الاستجازة: أن يعد لأمر جائزاً مقبولاً، وفي الأصل: «استخرت» تحريف.
والصريمة: القطيعة.(هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، والمعنى: كيف استسغت إبعادي، وقطيعتي، وأنت قريبي ورحمي، وأنت المؤمل في تقريبي وصلتي، ونصرتي؟!.
ونحوه قول أبي تمام:

ثم اطّرحتم قراباتي وآصرتي حتى توهَّمتُ أني من بني أسدِ

وقول الآخر:

فهلا غير عَمِّكُمُ ظلمتم إذا ما كنتمُ متظلمينا

وقول الزبرقان بن بدر:

ولِيَ ابن عمٍّ لا يزا ل يعيبني ويُعين عائب
وأعيذه في النائبا ت ولا يعين على النوائب
تسري عقاربُه إليْـ ـيَ ولا تناولُه عقارب

وقول أبي نواس:

وابنُ عمٍّ لا يكاشفنا قد لبسناه على غَرره
كَمَن الشنآنُ فيه لنا كَكُمُون النار في حَجَره

قوله: لا يكاشفنا: لا يظهر لنا ما يكنه من العداوةِ، والشنآنُ: البغضاء.
وقول الأعشى:

فإن القريبَ مَنْ يُقَرِّب نفسه لعمر أبيك الخير لا من تَنَسَّبا

وقول الحارث بن كلدة:

فإن يَكُ خيرٌ فالبعيد يناله وإن يَكُ شرٌّ فابنُ عمِّك صاحبُه

=

= وقول معن بن أوس المزني ـ وهو من أحسن ما قيل في هذا الباب ـ:

وذي رحـمٍ قلّمـتُ أظفـار ضِـغْنِهِ ... بحِلْميَ عنـه وهـو لـيس لـه حلـمُ
إذا سِـمْتُه وصـلَ القرابـةِ سـامني ... قطعيتَهـا تلـك الـسفاهةُ والظلـمُ
ويـسعى إذا أبنـي ليهـدمَ صـالحي ... وليس الذي يبني كَمَنْ شأْنُه الهـدمُ
يحـاول رَغْمـي لا يحـاول غـيرَه ... وكالموت عندي أن يسوغَ له الرَّغْمُ
فإن أنتـصر منـه أكـنْ مثـل رائـشٍ ... سهامَ عـدوٍ يُـستهاضُ بهـا العظـمُ
وإن أعفُ عنه أَغْضِ عيناً على قذىً ... وليس له بالـصفح عـن ذنبـه عِلـمُ
فـما زلـت في لـينٍ لـه وتعطّـفٍ ... عليـه كـما تحنـو عـلى الولـد الأمُ
لأستلّ ذاك الضِّغنَ حتـى استللتُه ... وقد كان ذا ضغنٍ يضيق لـه الحـزمُ
فـداويت منـه الحقـدَ والمـرءُ قـادرٌ ... على سـهمه مـا دام في كفـه الـسهمُ

ومعن هذا شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله أخبار مع عمر ﷺ، وكان معاوية ﷺ يفضله ويقول: «أشعر أهل الجاهلية زهير وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب، ومعن بن أوس» راجع أخباره في الأغاني ١٢/ ٥٤ ـ ٥٦، والإصابة ٨٤٤٥، والخزانة ٣/ ٢٥٨.

وجاء في الأغاني ١٢/ ٦٠: «قال عبدالملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده: لِيَقُلْ كل واحد منكم أحسنَ شعرٍ سمع بـه، فـذكروا لامـرئ القـيس، والأعـشى، وطرفـة، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبدالملك: أشعرهم ـ والله ـ الذي يقول: وذي رحم...».

١٥ - وإذا عاتب مَن أخلف وعده أنشد:

سألتك حاجةً فوعدتَ فيها جميلك ثم نِمت عن الجميلِ[1]

(١) البيت من البحر الوافر، والمعنى أنني سألت حاجة فوعدتني خيراً، ثم نسيته، أو غفلت عنه.

ونحوه قول كثير عزة:

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ فلما رجوها أقشعت وتولتِ

وقريب منه قول ابن الخياط:

لا يكن بَرْقُك برقاً خُلَّباً إن خير البرقِ ما الغيث معه

وقول الآخر:

إن الكريم إذا حباك بموعدٍ أعطاكه سلساً بغير مطالِ

وقول هرم بن غنام السلولي:

إذا قلت في شيء: (نعم) فأتمه فإن (نعم) دين على الحرِّ واجبُ
وإلا فقل: (لا) واسترح وأرح بها لكيلا يقول الناس: إنك كاذب

ومن أجمل وأقدم ما قيل في ذلك -أيضاً- قول المثقِّب العبدي:

لا تقولن إذا ما لم تُرِدْ أن تتم الوعد في شيء (نعم)
حَسَنٌ قولُ (نعم) من بعدِ (لا) وقبيح قول (لا) بعد نعم
إن (لا) بعد (نعم) فاحشة فبـ(لا) فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت: (نعم) فاصبر لها بنجاح القول إن الخلف ذم
واعلم أنّ الذَّم نقصٌ للفتى ومتى لا يتقِ الذم يذم

وقريب من هذا المضرب ما في المضارب ٩٦ و ٩٨ و ١٠٦

١٦ - وإذا لم يعجبه إنسان أنشد:

قـــد رأينـــاك فـــما أعجبتنـــا وبلونـــاك فلـــم نـــرضَ الخُـــبُرْ[١][٢]

---

(١) الخبر: بالضم: الاختبار والعلم بالشيء، وضم الباء للشعر.

والبيت في محاضرات الراغب ١: ١٣٥، ومعه قصة فيه ٢: ٨٩.(هـ)

(٢) البيت من بحر الرمل، ومعناه: أن ظاهرك وباطنك دالان على أن لا خير فيك، ولا شيء يحسن منك.

وقريب منه قول متمم بن نويرة:

وبعضُ الرجالِ نَخْلَـةٌ لا جنـى لهـا ولا ظـلَّ إلا أن يُعَـدَّ مـن النخـل

وأشد منه في معناه قول محمد بن الجهم:

قَبُحَـتْ منـاظرُهم فحـين خَـبَرْتُهم حَـسُنَتْ منـاظِرُهم لِقُـبْحِ الـمَخْبَرِ

ونحوه قول أحدهم:

ويـا قبـيح الوجـه كـن محـسناً لا تجمعـــنَّ الـــشَّين بالـــشين

١٧ - وإذا هجاه أحدٌ أنشد:

ومـا كـلُّ كلـبٍ نـابحٍ يـستفزُّني ولا كلَّـمـا طَـنَّ الـذباب أُراعُ[1][2]

(١) البيت في مجالس ثعلب ٣، ٤ ومحاضرات الراغب ١: ١٣٥ بدون نسبة أيضاً.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعناه أنني رجل واسع الحلم، رُحب الذرع، لا يحركني نبح الكلاب، ولا طنين الذباب.

وقريب منه قول أحدهم:

أو كلـما طَـنَّ الـذباب طردتـه إن الـذباب إذاً عَـلَيَّ كـريم

وقول الآخر:

فكن كيف شئت وقل ما تشا وأبـرق يمينـاً وأرعـد شـمالا
نجا بِكَ لؤمُك منجى الذباب حَمَتْـهُ مقـاذيرُه أن ينـالا

وقول الآخر:

لقد جَلّ قدرُ الكلبِ إن كان كلما عوى وأطال النَّبْحَ ألقمته الحَجَرْ

وقول مسلم بن الوليد:

فاذهب فأنت طليق عِرْضِك إنه عِـرْض عـززت بـه وأنـت ذليـل

وأنشد الجاحظ:

ووثقـت أنـك لا تـسبْ ـبُ حَمَـاك لؤمـك أن تُـسَبَّا

أي حماك لؤمك، ونجَّاك من السبِّ.

وقال غيره:

دنـاءَةُ عِرْضِـك حـصنٌ منيـع تقيـك إذا سـاء منـك الـصنيع
فقـل لعـدوك مـا تـشتهي فأنـت الرفيـع المنيـع الوضـيع

وقال ابن الرومي وأجاد:

فـلا تخـشَ مـن أسـهمي قاصـداً ولا تـأمنَّ مـن العـابر
ولكـن وقـاك مَعَرَّاتِهـا تـضاؤلُ قـدرك في الخـاطر

١٨- وإذا أحسَّ بتقصيرٍ في سياسة أمير لرعيته نسب الأمْرَ لوزيره، وأنشد:

إذا غَفَلَ الأمير عن الرعايا فإن العتب أولى بالوزيرِ

لأنَّ على الوزير إذا تولَّى أمورَ الناس تذكيرَ الأميرِ(١)

---

(١) البيت من البحر الوافر وينسب لعلي بن محمد البسامي، ويروى:

إذا نسي الأمير قضاء حق فإن الذنب فيه للوزير

لأن..... .....

ومعناه أن الوزير يتحمل تبعة تقصير الأمير؛ لأن مقتضى الأمانة أن يُذَكِّر الوزيرُ الأميرَ إذا قصر، أو غفل.

وقريب منه قول ابن الرومي:

عين الأمير هي الوزير وأنت ناظرُها البصير

١٩ - وإذا ذُكِر له كِبَرُ سنِّه أنشد:

إنَّ الحسام وإنْ رثَّتْ مضارِبُه إذا ضربتَ به مكروهةً فَصَلا[1][2]

---

(١) رثت مضاربه: أخلقت وتثلمت.

مكروهة: أي ضربة مكروهة شديدة.

ويقال للسيف الذي يمضي على الضرائب الشداد لا ينبو عن شيء منها: «ذو الكريهة». (هـ)

(٢) البيت للأحوص ديوانه ١/ ١٤٥ ، وهو من البحر البسيط، وقريب منه:

إني على ما تَرينَ من كِبَري أعرف من أين تؤكل الكتفُ

وقول أبي النجم:

إني أنا السيفُ لا ترضيك حِدَّتُهُ ولَيس يرضيك إلا بعد إخلاق

وقريب منه ما في المضرب رقم ٣٧

٢٠- وإذا أثنى على محسن أنشد:

فعـاجُوا فـأثنَوا بالـذي أنـت أهلُـه ولو سكتوا أثَنتْ عليـك الحقائـب[1][2]

(١) البيت لنصيب، كما في البيان ١: ٨٣، ومجموعة المعاني ٩٦، والوساطة ١٥٠، والكامل ١٠٤ ليبسك.(هـ)

قال المبرد: «وقد فضل نصيب على الفرزدق: أنشدني -وإنما أراد أن ينشده مدحاً له- فأنشده:

وركب كأن الريحَ تطلب عندهم لهـا تِـرَةً مِـنْ جـذبها بالعـصائب
سروا يخبطون الريح وهي تَلُفّهـم إلى شـعب الأكـوار ذات الحقائـب
إذا آنـسوا نـاراً يقولـون ليتهـا وقـد خـضرت أيـديهم نـار غالـب

فأعرض سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين: ألا أنشدك في رَويِّها ما لعله لا يتضع عنها، فقال: هات، فأنشده:

أقـول لركـب صـادرين لقيـتهم قفـاذات أوشـال ومـولاك قـارب
قفوا خـبروني عـن سـليمان إننـي لمعروفـه مـن أهـل ودَّان طالـب
فعاجوا فأثنوا بالـذي أنـت أهلـه ولو سكتوا أثنـت عليـك الحقائـب

وانظر زهر الآداب ٢: ٤١، ٤٣ والعمدة ١: ٤٤.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وقريب منه قول أبي الطيب المتنبي:

وأحسن وجه في الورى وجهُ محسنٍ وأيمـن كـفٍّ فـيهم كـفُّ مـنعم

٢١- وإذا رأى من والٍ إساءةً على من وَلِيَ عليه أنشد:

وكنـــا نـــستطبُّ إذا مَرِضـــنا فـــصار سَـــقامُنَا بيـــد الطبيـــبِ[1][2]

(١) يستطب: يستوصف الدواء الذي يصلح لدائه.(هـ)

(٢) البيت من البحر الوافر، وبعده:

وكيـــف نُجِيـــزُ غُـــصَّتنا بـــشيء ونحـــن نَغَـــصُّ بالمـــاء الـــشروبِ

انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري دون نسبة ٢/ ١٦٦

وقريب منه قول عدي بن زيد:

لـــو بغـــير المـــاء حلقـــي شرِق كنـت كالغـصان بالمـاء اعتـصاري

وقول الآخر:

من غصَّ داوى بشرب الماءِ غَصَّته فكيـف يـصنع مـن قـد غـص بالمـاء

وقول الآخر:

إلى الماء يغدو مـن يغـص بلقمـة إلى أيـن يغـدو مـن يغـص بـماءِ

وقول الآخر:

إذا مـا اللحـمُ أنْـتَنَ مَلَّحـوه ونـــتنُ الملـــحِ لـــيس لـــه دواءُ

وقول الآخر:

ونـــستعدي الأمـــير إذا ظُلمنـــا فمـــن يُعـــدي إذا ظلـــم الأمـــير

وكتب رجل إلى صديق له: قد كنت أستعدي بك ظالماً على غيرك، فتحكم لي، وقد استعديتك مظلوماً فضاق عني عدلك، وذكر قول القائل:

كنـــتُ في كربتـــي أَفِـــرُّ إلـــيهم فهـــم كربتـــي فـــأين الفـــرار

انظر: عيون الأخبار ١/ ٧٨

ونحوه:

والخـصم لا يرتجـى النجـاح لـه يومـاً إذا كـان خـصمه القـاضي

٢٢- وإذا حضَر أناسٌ على أمرٍ ذي بال أنشد:

أقـــول لفتيـــانٍ كـــرام تروَّحـــوا عـلى الجُـرد في أفـواههن الـشكائم[1]

قَعُـوا وَقعـةً مَـنْ يَحْـيَ لم يَخْـزَ بعـدها ومـــن يُخْـــتَرَمْ لم تتَّبعـــه المَـــلاومُ[2][3]

---

(١) البيتان من مقطوعة رواها ابن الشجري في الحماسة ٤٨، وأبو الفرج في الأغاني ١٨: ١٠٩، والقالي في الأمالي ١: ٢٥٨، والبكري في التنبيه ٨١، رووا جميعاً عن المفضل الضبي أنه قال: كنت مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بباخمرى في اليوم الذي قتل فيه، فلما رأى البياض يقل، والسواد يكثر قال لي: يا مفضل أنشدني شيئاً يهون عليَّ بعض ما أنا فيه.

فأنشدته... ـ وأنشدوا الأبيات ـ قال: فرأيته يتطالع على سرجه، ثم حمل حملة كانت آخر العهد به.

تروحوا: ساروا في الرواح، والجرد: جمع أجرد وجرداء، وهو الفرس القصير الشعر.

والشكائم: جمع شكيمة، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس.

في الأصل: «في أعناقهن»، صوابه في الحماسة والأغاني ومجموعة المعاني ٣٩. (هـ)

(٢) الوقعة والوقيعة: القتال وصدمة الحرب، ويقال: اخترمته المنية من بين أصحابه: أخذته من بينهم.(هـ)

(٣) البيتان من البحر الطويل، وهما لعويف الفزاري، وقريب منهما قول أبي الغول الطَّهوي:

فدت نفسي ومـا ملكـت يمينـي فـوارس صُـدِّقَت فـيهم ظنـوني

وقول الأعشى:

فلـــما رأوه دون دُنْيـــا ركـــابِهم وطـاروا سِراعـاً بالـسلاح الـمُعَتَّدِ

أتـيح لهـم حُـبُّ الحيـاة فـأدبروا ومَرْجاةُ نفسِ المـرء مـا في غـدٍ غـدِ

٢٣- وإذا سُرّ بُلقيا صديقٍ له أنشد:

يـا خَـلاص الأسـير يـا فرحـة الأو بـــة يـــا زورةً عـــلى غـــير وعـــدِ[1]

---

(١) البيت من البحر الخفيف، وهو لابن الرومي(انظر ديوانه ص ١٥٧٨).

والمعنى: أن سروري بلقياك أيها الصديق عظيم يشبه سرور الأسير بفكاك أسره، والآيب إلى أهله بعد طول غياب، والزائر المحبوب على غير ميعاد.

ويروى البيت:

يا خلاص الأسير يـا ضـمة المـد نـف يـا زورةً عـلى غـير وعـد

وبعده:

يـا نجـاة الغريـق يـا فرحـة الأو بـــة يـــا قفلـــةً بعـــد كـــدِّ

وقريب منه قول أبي دُلَف:

أطيـب الطيبـات قتـل الأعـادي واختيـال عـلى متـون الجيـاد

ورســولٌ يــأتي بوعــدٍ حبيــب وحبيــب يــأتي بــلا ميعــاد

وقول أبي الطيب:

ومـا صـبابةُ مـشتاقٍ عـلى أمـلٍ مـن اللقـاء كمـشتاق بـلا أمـلٍ

وقول القروي:

لا شيء في الـدنيا أحـبُّ لنـاظري مـن منظـر الخـلان والأصـحاب

وقول الآخر:

وعرفـت أيـام الـسرور فلـم أجـد كرجـوع مـشتاق إلى مـشتاق

٢٤- وإذا أعار أخاً له دفتراً فأبطأ عليه بردِّه أنشد:

تعجيـــل ردِّ الكتـــب ممـــا بـــه ... يَـــستكثِرُ العلـــمَ أخـــو العلـــمِ
وحبـــسُها يمنـــع مِـــن بـــذلها ... مـــع الـــذي فيـــه مـــن الظُّلـــمِ[1]

(١) البيتان من البحر السريع، ومعناهما أن ردَّ الكتب المعارة من أسباب زيادة العلم، والاستكثار منه، بخلاف حبسها، أو التأخر في ردها؛ فإن فيه جنايةَ مَنْعِها عن الراغبين في الإفادة منها، وجنايةَ حَبْسِها، والتأخيرِ في ردها، ولهذا قيل: آفة الكتب إعارتها.
ونحوه قول القائل:

مـاذا جنـاه كتـابي فاسـتحق بـه ... سجناً طـويلاً وتغييبـاً عـن النـاس
أطْلِقْهُ نـسألْه عـما كـان حَـلّ بـه ... في عقـر دارك مـن ضُرٍّ ومـن بـاس

وقول الآخر:

مـا بـال كُتْبِـي في يـديك رهينـة ... حُبِـستْ عـلى كَـرِّ الزمـان الأول
فَـأذَنْ لهـا في الإنـصراف فإنهـا ... كَنْـزٌ عليـه إذا افْتَقَـرْتُ مُعَـوَّلي
ولقد تَعنَّت حـين طـال مقامهـا ... طـال الثـواءُ عـلى رسـوم المنـزل

وقول الآخر:

أيهـا المـستعير منـي كتابـاً ... ارْضَ لي منـه مـا لنفـسك تـرضى
لا تـرى ردَّ مـا أعرتُـك نفـلاً ... وتـرى رد مـا اسـتعرتك فرضـا

وقريب منه قول ابن طباطبا:

إذا فَجَـع الـدهر امـرأ بخليلـه ... تـسلّى ولا يـسْلى بفجـع الـدفاتر

لكن قال وكيع: أول بركة العلم: إعارة الكتب، ولأبي الكرم الحوزي:

كُتْبِـي لأهـل العلـم مبذولـةٌ ... أيـديهمُ مثـلُ يـدي فيهـا
متـى أرادوهـا بـلا منـةٍ ... عاريـةً فليـستعيروها
حاشـاي أن أمنعهـا عـنهمُ ... كـلا كـما غـيريَ يخفيهـا
أعارنـا أشـياخُنا كُتْـبَهم ... وسـنةُ الأشـياخ نمـضيها

=

= وقال البزار في الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٧٨: «وأخبرني من أثق به أنه جاءه -يعني ابن تيمية- يوماً يسأله كتاباً ينتفع به، فأمره أن يأخذ كتاباً يختار، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشتراه بدراهم كثيرة، فأخذه ومضى؛ فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك، فقال: أيحسن بي أن أمنعه بعدما سأله؟ دعه؛ فلينتفع به.

وكان الشيخ ابن تيمية رحمه الله ينكر إنكاراً شديداً على من يُسأل شيئاً من كتب العلم التي يملكها، ويمنعها من السائل، ويقول: ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه».

٢٥- وإذا عاد مريضاً ذا مودّةٍ صادقة أنشده:

نفسي ونفسك إن أبللتَ من سقم أبللتُ منه وإن أضناكَ أضناني[1]

(١) البيت من البحر البسيط، ومعنى أبللت: شفيت، وأضناك: أمضَّك، وأتعبك.
يقول: إنك كنفسي؛ فإن شفيتَ من المرض شفيتُ منه أنا، وإن أتعبك تعبتُ لتعبك.
وقريب منه قول المتنبي:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال منك إلى أعدائك الألمُ

وقول الشيخ محمد الخضر حسين في مرض صديق له:

نبئت أنك موجع فارتاع قلبي وانتفض
ما ضر لو كنتُ المريـ ضَ وزال عن خلي المرض
وجع القلوب أشد من وجع الجسوم إذا عرض
لا خِلّ إلا من يبيـ ت إذا مرضت على مضض

٢٦- وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده:

فــلا تكثِــرنْ في إثــرِ شيءٍ ندامــةً إذا نزعتــه مــن يــديك النّــوازعُ[1][2]

---

(١) البيت للبعيث، كما في لباب الآداب ٤٢٤، وأبيات قصيدته في أمالي القالي ١: ١٩٦، وسمط اللآلئ ٤٧٠-٤٧١، ومعجم البلدان (القاقع).(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعناه أَقْصِرْ عن الإفراط في الندم على ما فات؛ فإن الجزع لا ينفعك، ولا يطفئ لوعتك، ولا يرد عليك ما فات، وإنما ينفعك الصبر، والتسلي.

ونحوه قول امرئ القيس:

فدع عنك شيئاً قد مضى لسبيله ولكن على ما كان غالك أَقْبِلِ

وقريب منه قول النابغة الجعدي:

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أوْ ذرا
ولا تجزعا إن الحياة قصيرة فخِفا لروعات الحوادث أو قِرا
وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دفْعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الأمر ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا تُغَيِّر شيئاً غير ما كان قُدِّرا

ومنه قول أبو بكر ابن النطاح:

ولم أتنفس الصعداء لهفاً على عيش تداعى بانقضاب
أطالع ما أمامي بابتهاج ولا أقفو المولَّي باكتئاب

وقول البارودي:

فلست لأمرٍ لم يكن متوقعاً ولست على شيء مضى أتعتَّب

٢٧- وإذا عُوتِب على إهانته للمال، وكثرةِ بذلِهِ أنشد:

كيف يَسْطِيع حِفظَ ماجمعت كفَّـ ـــاهُ مـــن ذاق لـــذة الإنفـــاق[1]

(١) البيت من البحر الخفيف، وهو للكاتب الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي، وقبله:

لا تلـــومَنَّني فَهَمُّـــك أن أثـــ ـــري وهمـــي مكـــارم الأخـــلاقِ

انظر غُرر الخصائص للوطواط ١/ ١٥٩

وفي ديوان الصولي كما في الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص١٨٦:

لا تَلَمْنِـــي فـــإن هَمَّـــك أن تثـــري وهمـــي مكـــارم الأخـــلاقِ

والمعنى أن الذي ذاق لذة العطاء لا يستطيع إمساك المال؛ لأنه يجد لذته في إنفاقه، كما يجد الشحيح لذته في إمساكه.

وقريب منه قول جؤية بن النضر:

قالـت طريفـةُ مـا تبقـي دراهمنـا ومـا بنـا سرف فيهـا ولا خـرق

إنـا إذا اجتمعـت يومـاً دراهمنـا صـارت إلى طـرق المعـروف تـستبق

لا يعرف الدرهمُ المضروبُ صُرَّتَنا لكـن يمـرُّ عليهـا وهـو منطلـق

حتـى يـصيرَ إلى نَـذْلٍ يُخلـده يكـاد مـن صَرِّهِ إيـاه ينمـزق

وقول حاتم الطائي:

وقائلـةٍ أهلكـت بـالجود مالنـا ونفسك حتى ضر نَفْسَك جودُها

فقلت: دعيني إنما تلك عادتي لكـل كـريم عـادة يـستجيدها

وقول الآخر:

المال مالي إذا يومـاً سـمحت بـه وما تركت ورائي لـيس مـن مـالي

وقول ابن الرومي:

فليس لفـضل المـال شيء كبذلـه وليس لداء العِـرض شيء كحـسمه

=

= وقول الآخر:

ألا لا تلمني على بذل مالي ... فَصَوني لعرضي بمالي جمالي

وصوني لمالي بعرضي فسادٌ ... لعرضي وديني وجاهي ومالي

وقول الآخر:

قامت تلوم على بذل النوالِ ولي ... به ولوعٌ فقلت: اللوم في الباقي

لا تجزعي أن تَرَيْ بيْ فاقةً أبداً ... فمن خزائن رب العرش إنفاقي

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٦٧.

٢٨- وإذا مشى لأخ في قضاء حاجة ووفى بحقه أنشد :

حقــوق لإخــواني أريــد قــضاءها كـــأني مـــا لم أقـــضهن مـــريض[1]

(١) البيت من البحر الطويل، ومعناه أن لأحبتي علي حقوقاً أوجبتها على نفسي، وإذا لم أقضها صرت كالمريض؛ من شدة ما يلحقني من الهم؛ فكأن عافيتي مقرونة بأداء تلك الحقوق.

وقريب منه قول بشار بن برد:

كـأن لهـم دينـاً عليـه ومـا لهـم سـوى جُـودِ كفيـه عليـه حقـوقُ

وقول بعضهم:

سأشكر عَمْـراً مـا تراخـت منيتـي أيـاديَ لم تُمْـنَنْ وإن هـي جلَّـتِ
فتـىً غـير مفـراحٍ إذا الخـيرُ مـسَّه ولا مظهرِ الشكوى إذا النَّعل زلـتِ
رأى خلَّتي من حيث يخفى مكانُهـا فكانـت قـذى عينيـه حتـى تجلـتِ

قال أبو هلال تعليقاً على هذه الأبيات: «هي أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه».

وقال: «قوله: **(قذى عينيه)** لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام، وأن الإنسان إذا قذيت عينه صرف الهمةَ إلى نَقْذَتها من غير اشتغال بشيء غيرها.

وهو على قوله: **(من حيث يخفى مكانها)** أبلغ؛ لأنه يدل على تفقُّد شديد، وعناية تامة».

كتاب ديوان المعاني ١/ ٢٦٦-٢٦٧.

٢٩- وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شروداً[١] ونفرة أنشد[٢]:

بطيءٌ عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب[٣][٤]

---

(١) في الأصل: «سرورا» تحريف. (هـ)

(٢) كأن في هذا المضرب إبهاماً وغموضاً؛ من جهة مناسبته للشاهد، والأنسب أن يقال: وإذا رأى صاحباً يقبل على أصحابه إذا أعسروا واحتاجوا إليه، ويبعد عنهم إذا كانوا بخير وعافية أنشد.

(٣) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في الأغاني ٩: ٢٤ ومجموعة المعاني٥٦ وقبله:

ولكن الجواد أبا هشام وَفِيّ العهدِ مأمون المغيبِ

(هـ)

وبعده كما في ديوان الصولي في الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص١٢٩:

إذا أمر عراك حماك منه وعاد به إلى عطن قريبِ

(٤) البيت من البحر الوافر، ومعناه أن هذا الممدوح على درجة من شهامة الخاطر، وكمال المروءة؛ حيث إنه إذا كان أَحِبَّتُه بخير وغنىً ابتعد عنهم؛ حتى لا يثقل عليهم.

وإذا نابتهم النوائب أقبل عليهم، وأعانهم على تفريج كربهم.

وقريب من ذلك قول الشاعر:

فتىً كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

كأن الثريا علقت بجبينه وفي خدِّه الشِّعرى وفي الآخر البدر

يعني أن هذا الفتى يقترب من أصدقائه إذا اغتنى؛ كي يجود عليهم، وينفعهم.

وإذا افتقر بَعُدَ عنهم؛ لكيلا يرهقهم بمساعدتهم له، ورفدهم إياه.

ونحوه قول أبي بكر الخوارزمي:

رأيتك إذ أيسرتَ خيَّمْتَ عندنا لزاماً وإن أعسرت زُرْتَ لِاما

فما أنت إلا البدر إن قل ضوؤه أغبَّ وإن دام الضياءُ أقاما

=

= ونحوه قول إبراهيم بن العباس:

أســـــدٌ ضـــــارٍ إذا هيَّجتـــــه ... وأبٌ بـــــرٌّ إذا مـــــا قَـــــدِرا

يعلَـــمُ الأبعـــد إن أثـــرى ولا ... يعلـــم الأدنـــى إذا مـــا افتقـــرا

وقول أعرابي في مدح قومه:

إذا افتقروا عضوا على الصبر حِسْبَةً ... وإن أيسروا عادوا سراعاً إلى الفقر

وقول آخر:

أنـا ابـن عمـك إن نابتـك نائبـةٌ ... ولـست ذاك إذا مـا نَعْتُـك اعتـدلا

وقول بعض الشعراء:

وأعرض عن ذي المال حتى يقالَ لي ... قـد آحـدث هـذا نخـوةً وتعظـما

ومـا بيَ كِـبْرٌ عـن صـديق ولا أخٍ ... ولكنـه فعـلي إذا كنـت معـدما

وعكس ذلك ما قاله يزيد المهلبي:

فـإذا غنيـتُ فكلهـم لي خاتـل ... وإذا افتقـرت فكلهـم لي جـافي

٣٠- وإذا أراد شيئاً عاناه ليلاً أنشد :

والليـــل يقظـــان والكواكـــب في الـــ آفـــاق حـــيرى كـــاللؤلؤ البَـــدَدِ[1][2]

---

(١) البدد: المتفرق . (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، وهو لإبراهيم الصولي. انظر ديوانه في كتاب الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص ١٤٣، ومطلع القصيدة:

وصـــاحبٍ ماجـــد خلائقـــه لا يـــذخر المـــالَ خائفـــاً لغـــدِ
طليـــقِ وَجْـــهٍ جـــمِّ المكـــارم في الـــذروة والعـــز مـــن بنـــي أســـدِ
نبهتـــه للـــصباح محتجـــبٌ والليـــل واهـــي الأطنـــاب والعَمَـــدِ

إلى أن قال:

فقـــام عـــن نعـــسةٍ تجاذبـــه يجـــــــر ذيـــــــلاً إليَّ ذا أودِ
والليل يقظانُ والكواكـبُ في الـــ آفـــاق حـــيرى كـــاللؤلؤ البَـــدَدِ

وقريب منه قول النابغة الذبياني:

كِلينـــي لهـــمٍّ يـــا أميمـــةُ ناصـــبِ وليـــل أعانيـــه بطـــيء الكواكـــب

وقول امرئ القيس:

فيالـــك مـــن ليـــل كـــأن نجومـــه بكـــل مغـــار الفتـــل شُـــدَّت بيـــذبل

وقول البعيث:

تطـــاول هـــذا الليـــل حتـــى كأنـــه إذا مـــا مـــضى تُثْنـــى عليـــه أوائلـــه

وقول خالد بن يزيد:

والليـــل وقـــف علينـــا مـــا يفارقنـــا كـــأنما كُـــلَّ وقـــت منـــه أولـــه

وقريب من هذا المضرب وشواهدِه ما سيأتي في المضرب رقم (١٢٦) وشواهده.

٣١- وإذا استبطأ صديقاً له وعاتبه على قعوده عنه أنشد :

وإني إذا أدعـــوك عنـــد ملمـــة كداعيـــة بـــين القبـــور نـــصيرها[1][2]

---

(١) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في مجموعة المعاني ١٥١ والمحاضرات ١: ١٣٢. وقبله:

دعوتـك عـن بلـوى ألمـت ضرورة فأوقدت مـن ضـغن عـليَّ سـعيرها

(هـ)

وفي ديوان الصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٨٤:

فـــإنيْ إذا أدعـــوك عنـــد ملمـــة كداعيـــة عنـــد القبـــور نـــصيرها

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى أنني إذا استنجدت بك عند حدوث بلية لم أجد منك إلا التماوت، وقلة الانبعاث إلى المساعفة، والإعانة، فكأنني ـ والحالة هذه ـ واقف أنـادي بـين القبور، ولكن لا حياة لمن أنادي.

وللصولي ـ أيضاً ـ أبيات كثيرة في هذا المعنى تملأ ديوانه، وأكثرها أو كلها في عتاب الكاتـب الكبير محمد بن عبدالملك الزيات الذي كان صديقاً للصولي، فتغـير عليـه لمـا تـولى المنـصب؛ فصبَّ عليه الصولي جام عتابه.

ومما قال الصولي في معنى المضرب، وفي عتاب محمد الزيات.:

أخ كنـت آوي منـه عنـد ادِّكـاره إلى ظـلَّ آبـاءٍ مـن العـز بـاذخِ
سعت نُـوَبُ الأيـام بينـي وبينـه فـأقلعن منـا عـن ظلـوم وصـارخِ
وإني وإعـدادي لـدهري محمـداً كملـتمسٍ إطفـاءَ جمـرٍ بنـافخ

وسيأتي في مضارب وشواهد أخرى نماذج من ذلك.

وقال ابن الرومي:

تخِـذتُكُمُ ظَهْـراً وعونـاً لتـدفعوا نبـال العـدا عنـي فـصرتم نِـصالها
وقد كنت أرجو منكمُ خير صاحبٍ عـلى حـين خـذلان اليمـين شـمالها
فـإن أنـتمُ لم تحفظـوا لمـودتي فكونـوا كفافـاً لا عليهـا ولا لهـا
قفوا موقف المعـذور عنـي بمعـزلٍ وخلـوا نبـالي والعِـدا ونبالهـا

=

= وقال المقنع الكندي:

أراهم إلى نصري بطاءً وإن هُمُ ... دعوني إلى نصرٍ أتيتهم شدَّا

وعكس هذا المعنى قول الآخر:

أخوك الذي إن تَدْعُهُ لملمةٍ ... يُجِبْكَ وإن تغضبْ إلى السيف يَغْضَبِ

٣٢- وإذا ذم أخاً له في إساءته إلى إخوانه أنشد :

أصبح أعداؤه على ثقة منه وإخوانه على وجل[1]

(١) البيت من المنسرح، وهو للصولي، انظر التذكرة الحمدونية ٢/ ٥٥، وديوانه في الطرائف الأدبية للميمني ص١٦٢ في ثلاثة أبيات، وهي:

كان أخاً ثم عادَ لي أملاً فَبِتَّ بين الإخاء والأملِ
تصبح أعداؤه على ثقة منه وإخوانه على وجل
تذللاً للعدوِّ عن ضعة وصولة بالصديق عن دخلِ

والمعنى أن هذا الأخ صار سلماً لأعدائه، حرباً على أوليائه وأقربائه.

ويعني بذلك ـ كما مر ـ الكاتب الكبير المشهور محمد بن عبدالملك الزيات.

وللصولي في هذا المعنى في الزيات ـ أيضاً ـ:

من يشتري مني إخاء محمدٍ بل من يريد إخاءه مجّانا
بل من يخلّص من إخاء محمد وله مناهُ كائناً من كانا

وقريب منه قول علي بن مقرب معاتباً من كان يسيء إلى إخوانه:

ومن الخساسة أن تكون على العدا غيثاً وفي الأدنين ليثاً ألبدا
فاستبقِ قومَك للخطوب ولا تكن سيفاً عليهم بالهلاك مجردا

وقوله:

ولا تتوهمْ أن إكرامك العدا سخاءٌ ولا آن العزَّ ضيمُ الأقارب
لعمرك ما عز امرؤ ذل قومُه ولا جاد مَنْ يعطي عطيةَ راهب

ونحوه قول القائل:

لكل كريم من ألائم قومه على كل حال حاسدون وكُشَّحُ

الكشَّح: جمع كاشح، وهو الذي يضمر العداوة.

٣٣- وإذا شكا من جار له هجره أنشد :

دنــت بأنــاس عــن تنــاءٍ زيــارةٌ وشــط ببكــر عــن دنــو مزارُهــا

وإن مقــيماتٍ بمنقطــع الثــرى لأقــربُ مــن لــيلى وهاتيــك دارهــا[1][2]

---

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، الوساطة ١٨٣ ومحاضرات الراغب ٢: ٣١. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعنى التَّنائي: البعد.

يقول: إن أناساً بعيدين قربتهم الزيارة والصلة، وإن أناساً قريبين أبعدهم الهجر والقطيعة.

وهذان البيتان في ديوان الصولي في الطرائف الأدبية ص١٤٥ بلفظ:

دنــت بأنــاس عــن تنــاءٍ زيــارة وشــطّ بلــيلى عــن دنــوٍّ مَزارُهــا

وإن مقــيماتٍ بمنقطــع اللــوى لأقــربُ مــن لــيلى وهاتيــك دارهــا

ونحوه قول عبيد بن الأبرص:

قــد يُوْصَــل النــازحُ النــائيْ وقــد يُقْطَــع ذو الــسُّهْمةِ القريــبُ

وقريب منه قول ابن الدمينة:

عــلى أن قــرب الــدار لــيس بنــافعٍ إذا كــان مــن تهــواه لــيس بــذي ودِّ

وقول الآخر:

لا تجعلــنْ قُــرْبَ داري مُحسِّــساً لنــصيبي

فــربَ شــخصٍ بعيــدٍ إلى الفــؤاد قريــبِ

وقول لبيد:

وإن هــوان الجــار للجــار مــؤلم وفــاقرةٌ تــأوي إليهــا الفــواقر

٣٤- وإذا تذكر أياماً مضت وكان يشكوها، وهو اليوم يتمناها أنشد:

سقيا ورعياً لأيام مضت سلفاً بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك أيامنا لاشك نَنْدِبها إذا تقضَّت ونحن اليوم نشكوها[1][2]

---

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي في مجموعة المعاني ١٠٢ . (هـ)

وهما ـأيضاًـ في ديوان الصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٥٢.

(٢) البيتان من البحر البسيط، وقريب منهما قول سعيد بن حميد:

لم أبكِ من زمن ذَمَمْتُ صروفَه إلا بكيت عليه حين يزول

ونحوه أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا كان مسروراً قال:

ليت أيامنا ببرقة خاخٍ وليالي يا طويل تعود

انظر عيون الأخبار ١/ ٢٦٤

ومنه قول القائل:

رب يومٍ بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه

وقريب منه ـأيضاًـ قول ابن أبي عداوة:

عتبت على سَلْمٍ فلما فقدته وجرَّبت أقواماً بكيت على سَلْمِ

رجعت إليه بعد تجريب غيره فكان كَبُرْءٍ بعد طول من السَّقمِ

٣٥- وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد :

تلجين حتى يذهب الهجر بالهوى وحتى تكاد النفس عنك تطيب[٢][٢]

---

(١) اللجاجة: التمادي في الشيء وعدم الانصراف عنه، أراد تلجين في الهجر، وفعله من باب فرح وضرب.

وفي الأصل : «تلحين» تحريف، صوابه في ديوان ابن الدمينة ١٢.

وقصيدة البيت فيه طويلة جدا . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى أنك تواصلين الهجر، وتتمادين به، حتى يكاد الهوى يندرس، وتبلى معالمه، ولا يبقى في النفس شيء منه.

وقريب منه قول القائل:

يا ذا الذي أَلِفَ القطيعةَ دهرَه إن القطيعةَ موضعٌ للرَّيْبِ
إن كان ودُّك كامناً في نية فاطلب صديقاً عالماً بالغَيْبِ

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٥٣.

٣٦- وإذا عوتب في خصلة أو بادرة بدرت منه أنشد :

ولست بِمُستبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ[١][٢]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ١٤، الشعث : الفساد، واللم: الإصلاح.

وكان حماد الرواية يقدم النابغة، فقيل له: بم تقدمه؟ فقال: باكتفائك بالبيت من شعره، بل بنصفه، بل بربعه، نحو :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه، وقوله: «أي الرجال المهذب» ربع بيت يغنيك عن غيره . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى أنك لن تجد كاملاً مبرأً من كل عيب، فالخطأ طبيعة البشر، والكمال عزيز، والعاقل يقبل الناس على علاتهم؛ ويأخذ بالعفو، وما صفا من أخلاقهم.

ونحوه قول القائل:

ومن قلةِ الإنصاف أن تطلب الأخ الـ مُهَذَّبَ في الدنيا ولست مهذبا

وقريب منه قول بشار:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وقول الآخر:

الـبس أخاك على تَصَنُّعِهِ فَلَرُبَّ مفتضحٍ على النصِّ

ما ظَلْتُ أفحص عن أخي ثقةٍ إلا ذممت عواقب الفحصِ

٣٧- وإذا قيل له: قد أَسَنَّ فلانٌ وكَبِر أنشد:

لم ينـــتقص منـــي المـــشيبُ قُلامـــةً الآن حـــين بـــدا ألـــب وأكـــيس[1][2]

---

(١) أي أنا الآن أعظم لباً، وأكثر كيساً وفطانة. (هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، وهو لغيلان بن سلمة، كما في عيون الأخبار ٤/ ٢، والمعنى أن كبر سني لم ينل من عقلي شيئاً، بل هو بداية كمال الرشد، والكياسة.

وقريب منه قول الشاعر:

رأت ذا عصاً يمـشي عليهـا وشـيبةٍ تَقَنَّـــعَ منهـــا رأسُـــه مـــا تقنَّعـــا

فقلـــت لهـــا: لا تهزئـــي بي فقلـــما يسود الفتى حتـى يـشيبَ ويـصلعا

وقول المتنبي:

والمـــرء يأمـــل والحيـــاة شـــهيةٌ والـــشيب أوقـــر والـــشبيبة أنـــزق

وقول عمرو بن زيد:

الـــشيب حلـــم راجـــح ورزانـــةٌ فيـــه وتجرِبـــة لمـــن قـــد جربـــا

وقول دعبل الخزاعي:

إن المـــشيب رداء الحلـــم والأدب كـما الـشباب رداء اللهـو واللعـب

وقول آخر:

وكان الـشبابُ الغـضَّ لي فيـه لـذةٌ فـــوقرني عنهـــا المـــشيبُ وأدبـــا

فسقياً ورعياً للشباب الـذي مـضى وأهـلاً وسـهلاً بالمـشيب ومرحبـا

وقول آخر:

إذا طـال عمـر المـرء مـن غـير آفـةٍ أفـادت لـه الأيـام في كَرِّهـا عقـلا

وعكسه:

إذا لم يكـــن مَـــرُّ الـــسنين مترجمـــاً عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً

٣٨- وإذا فسد[١] عند أخ له صحةُ ودِّه إياه أنشد:

قل ما تشاء ليؤتى ... وما كرهت ليكره

فإن ذلك أولى ... بما تشاء وأشبه[٢][٣]

---

(١) في الأصل: «فرد». (هـ)

(٢) في الأصل: «بنا معا وأشبه». (هـ)

(٣) البيت من البحر المُجْتَثّ، والمعنى أن ودَّك أيها الأخ قد فسد؛ فتبعه ظنُّك.

ونحوه قول الشاعر:

كل امرئ يشبهه فِعْلُه ... ما يفعل المرءُ فهو أهله

وقول أبي الطيب المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدَّق ما يعتاده من توهُّم

وعادى محبيه بقول عُداته ... وأصبح في ليلٍ من الشك مظلم

وقريب من ذلك قول أسامة بن منقذ، وهو من أحسن من عبر عن هذا المعنى، وذلك بقوله:

صديقٌ لي تنكَّر بعد ودٍّ ... وأمُّ الغدرِ في الدنيا ولود

وبعده:

أراه مَلالُه حسني قبيحاً ... فصدَّ وأيسرُ الغدر الصدود

وذمَّ اليومَ ما حَمِدَتْهُ مني ... تجارِبُهُ وأَمْسِ بهِ شهيدُ

ولست ألومه فيما أتاه ... أساء فرابَهُ الفعلُ الحميدُ

وقد يجد المريضُ الماءَ مُرّاً ... بِفيهِ وهو سلسال بَرودُ

٣٩- وإذا مات له ولد أنشد :

كَـلَّ لـسانيَ عـن وصـف مـا أجـد وذقـت ثُكـلاً مـا ذاقـه أحـد

مـا عـالج الحـزن والحـرارة في الـ أحـشاء مـن لم يمـت لـه ولـد[1]

---

(١) البيت من البحر المنسرح، وهو لأبي عبدالرحمن العتبي كما في الكامل ٤/ ٢١، والمعنى أن لساني عاجزٌ عن وصف ما يعتلج في قلبي مما ذقته من لوعة الفقد.

ولم يعان أحدٌ من الحرارة، والهم الذي يأكل الحشا ما عاناه من بُلي بفقد ولده.

وقد وُلِدَ لهذا الشاعر ستة أولاد كلهم ماتوا في حياته، وفيهم قال:

وكنـتُ أبـا سـتة كالبـدور فَقَـدْ فقـأوا أعـين الحاسـدينا

فمـروا عـلى حادثـات الزمـان كَمـرِّ الـدراهم بالناقـدينا

وحـسبك مـن حـادثٍ بـامرئٍ يـرى حاسـديه لـه راحمينـا

وينسب البيتان لإبراهيم الصولي كما في ديوانه في الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص١٧٥، ضمن أبيات أربعة قالها الصولي في تقارب موت ابنيه، والبيتان الباقيان:

فُجِعْـت بـابنيَّ لـيس بيـنهما إلا ليـالٍ مـا بينهـا عَـدَدُ

وكـلُّ حُـزنٍ يـبلى عـلى قِـدَم الـدهرِ وحـزني يُجِـدُّه الكمـدُ

وقريب منه ما قاله ابن الرومي في رثاء ابنه محمد:

أُلام لمـا أبـدي عليـك مـن الأسـى وإني لأخفي منه أضعاف مـا أبـدي

والقصيدة كلها تدور حول هذا المعنى، ولا تكاد قصيدة تعبر عن معنى فقد الولد كما عبرت عنه قصيدة ابن الرومي في ابنه محمد.

وقريب منها مرثية أبي الحسن التهامي في ابنه:

حكـم المنيـة في البريـة جـاري مـا هـذه الـدنيا بـدار قـرارِ

وبيت القصيد فيها قوله:

جـاورت أعـدائي وجـاور ربَّـه شـتان بـين جـواره وجـواري

=

= ومن أصدق ما قيل في مرثية الولد قول الضبي:

دعوتــك يــا بنــي فلــم تجبنــي فَــرُدَّتْ دعــوتي بأســىً عَلَيَّــا
بموتــك ماتــت اللــذات عنــي وكانــت حيــةً إذ كنــت حيــا
فيـا أسـفي عليـك وطـول شـوقي إليــك لــو آن ذلــك ردَّ شَــيَّا

٤٠- وإذا حث إنساناً على الإحسان وخَوفَّه صروف الدهر أنشد:

بيننـــا حرمـــة وعهـــد وثيـــق وعـــلى بعـــضنا لـــبعض حقـــوق
فـــاغتنم لـــذة الحفـــاظ فـــما يـــد ري مطيـــق لهـــا متـــى لا يطيـــق[1]

---

(١) البيتان من البحر الخفيف، وهما للبحتري. انظر ديوانه ٣/ ١٥٢٤ إلا أن البيت الثاني ورد:

فـــاغتنم فرصـــة الزمـــان فـــما يـــد ري.....

ومعنى البيت واضح وهو أن الشاعر يقول لممدوحه صاعد: إن بيننا مودة وثيقة العرى، وعلى كل واحد منه حق لصاحبه؛ فينبغي لكل مَنْ قَدِر على نفع غيره أن يبادر؛ لأنه ربما أراد ذلك في مستقبل الأيام فلا يستطيع.

وقريب منهما قول الأول:

فإنـك لا تـدري إذا جـاء سـائل أأنـت بـما تعطيـه أم هـو أسـعد
عسى سائل ذو حاجـة إن منعتـه من اليوم سـؤلاً أن يكـون لـه حمـد

وقول الآخر:

أحـــسن وأنـــت معـــانٌ يـــا أيهـــا الإنـــسان
إن الأيـــادي قـــروض كـــما تـــدين تـــدان

وقول الآخر:

لـــيس في كـــل وهلـــةٍ وأوانِ تتهيـــا صـــنائعُ الإحـــسان
فـــإذا أمكنـــت فبـــادر إليهـــا حـــذراً مـــن تَعَـــذُّرِ الإمكـــان

وقول أبي دُلَف:

إذا جادت الدنيا عليك فَجُد بها وبـادر بهـا مـن قبـل أن تتفلـتِ
فلا الجود يفنيهـا إذا هـي أقبلـت ولا الـشح يبقيهـا إذا هـي ولَّـتِ

وقول الشافعي:

إذا لم تجودوا والأمور بكم تمـضي وقد ملكت أيديكم البسط والقبضا
فـماذا يرجَّـى مـنكمُ إن عزلتمـوا وعـضَّتكم الـدنيا بأنيابهـا عـضا

٤١- وإذا رأى خليلاً له قد حفت به أرباب الحاجات وكان أمره في الأول أقرب، أنشد :

حياك من لم تكن ترجى تحيته لولا الحوائج ما حياك إنسان[1]

---

(١) البيت من البحر البسيط، ومعناه أن حوائج الناس إليك دعتهم إلى إجلالك، ولولا تلك الحاجات ما نلت عندهم تلك الحظوة.

وفي ذلك حث على الإقبال على أرباب الحاجات، وعَتْبٌ على من تتغير حاله إذا نال مالاً، أو جاهاً.

ونحوه قول الشافعي:

الناس بالناس ما دام الحياة بهم والسعد لا شك تارات وهَبَّات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل تُقْضى على يده للناس حاجات
لا تمنعن يد المعروف من أحد ما دمت مقتدراً فالسعد تارات
واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت إليك لا لك عند الناس حاجات

وقريب منه قول أسامة بن منقذ:

عسى من يُرَجِّي سيبَك اليوم يغتني فتصبح ممن ترتجي سَيْبَه غدا

والسيب: العطاء.

ونحوه قول إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبدالملك الزيات وقد تغير عليه لما وَزَرَ:

وكنت أخي بإخاء الزمانِ فلما نبا صِرتَ حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزمانَ فأصبحت فيك أذُمُّ الزمانا
وكنت أعدُّك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

وهذا المضرب قريب من المضرب السابق رقم ٤٠

٤٢- وإذا رأى أحداً غضب من أمر، ولم ينفعه غضبه أنشد :

غـــضبت تمـــيمٌ أن تُقَتَّـــلَ عـــامرٌ يـــومَ النـــسارِ فـــأعتبوا بالـــصيلم[1][2]

---

(١) لبشر بن أبي خازم الأسدي في المفضليات ٢ : ١٤٦ واللسان (عتب ، صلم) .

والنسار: أَجْبُل متجاورة كان عندها ذلك اليوم، وكانت ضبة حالفت بني أسد على بني تميم، وكان معهم في الحلف طيء وعدي، وقد تحالفوا على أن يقاتلوا العرب ثلاث سنين، وأرسلت تميم إلى بني عامر بالبار فخالفوهم، فقالت بنو أسد لضبة: بادروا بني عامر بالنسار قبل أن تصير إليهم بنو تميم، ففعلوا فقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

انظر النقائض ٢٣٨ ـ ٢٤٥ ، ١٠٦٤ ـ١٠٦٧ والعقد وكامل ابن الأثير والعمدة.

أعتبوا: عبارة تهكم، والإعتاب: الإرضاء، ويروى: «فأعقبوا» أي كانت عاقبتهم الصيلم، وهي الداهية . (هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، وقريب منه قول القائل:

لا تجـزعنَّ عـلى مـا فـات مطلبـه وإن جزعـت فـماذا ينفـع الجـزعُ

إن الـسعادة يـأس إن ظفـرت بـه فدونك اليـأسَ إن الـشقوة الطمـع

وقريب منه ما في المضرب رقم ٢٦

٤٣- وإذا رأى السلطان عزم على الغزو ونهض إلى العدو أنشد:

يومـــان يـــوم مقامـــات وأنديـــة ويـــوم ســـير إلى الأعـــدا وتأويـــب[1][2]

---

(١) البيت لسلامة بن جندل السعدي في ديوانه ص ٨ والمفضليات ١ : ١١٨. المقامات: جمع مقامة: وهي المجلس، وبالضم: جمع مقامة بمعنى الإقامة.

والأندية: الأفنية: جمع نديٌّ والنديُّ والنادي سواء، يريد بيوم المقامات والأندية مواقف الخطابة والمفاخرة ونحوها.

والتأويب: سير يوم إلى الليل، أو الإمعان في السير الشديد، وكذا وردت الرواية في الأصل وفي الديوان والمفضليات : «إلى الأعداء تأويب» . (هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، وقريب منه قول ابن الرومي:

كـــذاك يومـــان يـــومٌ ســـيبُه دِيَـــمٌ عـــلى العُفـــاة ويـــومٌ ســـيبه دامٍ

والسيب: العطاء، والديم: جمع ديمة وهي المطر الدائم، كناية عن العطاء، وقوله دامٍ: أي ذا دمٍ؛ كناية عن القتل والحرب.

وقول ابن هَرْمَة:

كريم له وجهانِ وجهٌ لدى الرضـا أســيلٌ ووجـــهٌ في الكريهـــة باســـل

وقول الآخر:

له يومُ بؤسٍ فيـه للنـاس أبـؤس ويـــوم نعـــيم فيـــه للنـــاس أنعـــم

وقول محمد بن وهيب:

قَسَمْتَ صروفَ الدهر بأساً ونائلاً فمالُـــك موتـــور وســـيفك واتـــر

وقول محمد بن بشير الأزدي:

فتـى دهـره شـطران فـيما ينوبـه ففي بأسـه شـطر وفي جـوده شـطر

فلا من بغاء الخير في عينـه قـذىً ولا مـن زئـير الأسـد في أذنـه وقـر

=

= وقول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

شـطران يومـك للنـدى بعـضٌ والمكرمـاتِ وللـردى بعـضُ

ونحوه قول مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة:

تـشابه يومـاه علينـا فأشـكلا فما نحـن نـدري أي يوميـه أفـضلُ
أيـوم نـداه الغمـر أم يـوم بأسـه ومـا مـنهما إلا أغـرُّ مُجَمَّـلُ

وقريب منه قول الأخطل:

قوم إذا حـاربوا شـدوا مـآزرهم عـن النـساء ولـو باتـت بأطهـار

وقريب منه قول الحطيئة يمدح سعيد بن العاص:

إذا هـمَّ بالأعـداء لم تـثن عزمـه كعـابٌ عليهـا لؤلـؤ وشـنوف
حصانٌ لهـا في البيـت زِيٌّ وبهجـة ومـشيٌ كـما تمـشي القطـاة قطـوف

والشنوف: مفردها الشنف، وهو القرط الأعلى.

والحصان: العفيفة.

وقوله: كما تمشي القطاة قطوف: يعني أنها قليلة المشي، مقاربة الخطو، ليست كمن اعتادت السير.

والمعنى: أن الممدوح إذا أراد الغزو؛ فنهته امرأته الموصوفة بالحسن، والجمال، والعفة، والرزانة ـ مضى إلى سبيله، ولم يلتفت إلى نهيها.

٤٤- وإذا رأى أمراً معضلاً وصبر عليه وعوتب في ذلك أنشد :

ومِـنْ خـير مـا فينـا مـن الأمـر أننـا متى نلـقَ يومـاً مـوطن الـصبر نـصبرِ[1]

---

(١) البيت من البحر الطويل، وهو لنافع بن خليفة الغنوي كما في الأغاني ١٥/ ٢٣٩ .
والمعنى: أن من خير صفاتنا أننا قومٌ صُبْرٌ عند اللقاء.
وقريب منه قول القائل:

صـبرت سـليمٌ للطِّعـان وعـامرٌ وإذا جزعنـا لم نجـد مـن يـصبرُ
نحـن الـذين إذا عُلـوا لم يـضجروا يـوم اللقـا وإذا عَلَـوا لم يفخـروا

وقول عنترة:

وصـبرت عارفـة لـذلك حـرة ترسـو إذا نفـس الجبـان تطلّـعُ

وقول عبدالعزيز بن زرارة الكُلابي:

كُلاً بلـوتُ فـلا الـنعماء تبطـرني ولا تخـشعت مـن لأوائهـا جزعـا
لا يملأ الهول قلبـي قبـل وقعتـه ولا أضـيق بـه ذرعـاً إذا وقعـا

٤٥- وإذا قال له أخ إنه اشتاق له اشتياقاً شديداً أنشد:

فلما تواقفنا عرفت الذي به كمثل الذي بي حَذْوَكَ النَّعلِ بالنعل[1][2]

---

(١) البيت من قصيدة هي من عيون شعر جميل في أمالي القالي ٢ : ٧٤.

والرواية «الذي بها» كما في الأمالي ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥ فقد يكون ابن فارس أبدل الإنشاد ليوافق الاستشهاد، أو هو تحريف ناسخ. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وينسب لعمر بن أبي ربيعة كما في عيون الأخبار ١/ ١٧، وقريب منه قول القائل:

إذا وصف الناس أشواقهم فشوقي لذاتك لا يوصف
وكيف أعبِّر عن حالةٍ ضميرك مني بها أعرف

وقول آخر:

لست عن ودِّ صديقي سائلاً غير قلبي فهو يدري ودَّه
فكما أعلم ما عندي له فكذا أعلم ما لي عنده

وقول الشريف المرتضى:

إذا صاحبي أضحى وبي مثل ما به غداة تلاقينا أطلنا التشاكيا

وقول الخراط:

لا تسألن عن الصديـ ـق وسلْ فؤادك عن فؤاده

٤٦- وإذا مر بأطلال خلت من سكانها وعفت وبقي أثرها أنشد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[١][٢]

---

(١) البيت هو مطلع معلقة طرفة بن العبد. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومما هو من ذلك المعنى -وقد كَثُر توارد الشعراء عليه- قول لبيد ﷺ في مطلع معلقته:

عَفَتِ الديارُ مَحلُّها فَمُقامُها بمنىً تأبَّدَ غولُها فرجامُها

وقول عبيد بن الأبرص:

أقفر من أهله ملحوبُ فالقُطَّبيات فالذَّنوب

وقول الأعشى:

ما بكاءُ الكبير بالأطلال وسؤالي وهل يردُّ سؤالي

٤٧- وإذا حضر مجلساً لمناظرة وسئل عن حاله فيه بعده أنشد :

ولــو شــهدت أم القديــد طعاننــا بمــرعشَ خيــل الأرمنــيِّ أَرَنَّــتِ[1][2]

---

(١) لسيار بن قصير الطائي في ديوان الحماسة ١ : ٤٥ .
أم القديد: قيل هي امرأته.
ومرعش: مدينة بين الشام والروم .
والأرمني: منسوب إلى أرمينية .
أرنت: أَعْوَلتْ وصاحت . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ونحوه قول شُبَّةَ بن عِقال بِعَقِبِ خطبته عند سليمان بن علي ابن عبدالله بن عباس:

ألا ليــت أمَّ الجهــم والله ســامعٌ ترى حيث كانـت بـالعراق مقـامي
عَشيةَ بَذَّ النـاسَ جهـريْ ومنطقـي وبــذَّ كــلامَ النــاطقين كلامــي

انظر البيان والتبيين ١/ ١٢٧

وقول زرارة بن جَزْء:

فقلــت لــه قــولاً أصــاب فـؤاده وبعــض كــلام النــاطقين غــرور

وقول ذو الرمة:

فــصلت بحكمــة فأصــبتُ منهــا فُصوصَ الحـقِّ فانفـصل انفـصالا

وقريب منه قول لبيد:

ولقــد حميــتُ الحــيَّ تحمــل شِـكَّتي فَـرْطٌ وشـاحي إذ غـدوت لجامُهـا

وقول لبيد ـأيضاًـ:

ومقــــامٍ ضَــــيِّقٍ فرَّجْتُــــهُ بلــــساني ومقــــالي وجــــدل

وقريب منه ما في المضرب رقم ١٢٢ .

٤٨- وإذا قيل له: رأيناك أعرضتَ عن فلان إعراضَ مسالمةٍ أنشد:

ولقـــد أجمـــع رجـــلي بهـــا حـــذر المـــوت وإني لفـــرور[1][2]

(١) لعمرو بن معد يكر ب في الحماسة ١ : ٥٢ وأمالي القالي ٣ : ١٤٧ .

وأجمع رجلي بها: أي بالفرس، أضمهما عليها استدرارا للجري.

لفرور: المعنى أنه يفر إذا كان في الفرار الحزم . وبعده :

ولقـــد أعطفهـــا كارهـــة حـين للـنفس مـن المـوت هريـر

(هـ)

وبعده:

كـل مـا ذلـك منـي خلـق وبكـل أنـا بـالروع جـدير

وهذه الأبيات من أجمل ما قيل في وصف الإنسان نفسه في المعركة.

قال أبو هلال العسكري رحمه الله تعليقاً على هذه الأبيات: «فقال: (وإني لفرور).

وقال بعض أهل الأدب: إنما هو لقرور بالقاف؛ لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار لا سيما باللفظ البليغ من فرور.

وليس كذلك؛ لأن قوله: كل ما ذلك مني خلق.

والحال الأخرى حال الفرار إذا كان ذلك أحزم، ولو ذكرنا حالة واحدة لم يحسن أن يقول: كل ما ذلك مني خلق.

وإنما دل على أصالته، وعقله في ثباته وقتَ الثبات، وفراره ساعة الفرار.

وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نَفْسَه إنما ذلك هوج، والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر.

فأما إذا علم أنه إذا أقدم هلك، ثم أقدم ـ فإن ذلك جنون؛ لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة، فيهلك.

وإنما الشأن في أن يحمد غِبَّ إقدامه» **كتاب ديوان المعاني ١/ ٢٧٠**

(٢) البيت من بحر الرمل، ونحوه قول زهير بن أبي سلمى:

عبأت له حلمي وأكرمـت غـيره وأعرضـت عنـه وهـو بـادٍ مقاتلـه

=

= وقريب منه قول أحد الشعراء في معنى الإعراض:

إني لأعرض عن أشياء أسمعها ... حتى يقول رجالٌ إن بي حمقا
أخشى جواب سفيه لا خلاق له ... فَسْلِ وظنَّ أناسِ أنه صدقا

وقول آخر:

لقد أسمع القول الذي كاد كلما ... تُذَكِّرُنِيْهِ النفسُ قلبيَ يصدع
فأبدي لمن أبداه مني بشاشةً ... كأنيَ مسرورٌ بما منه أسمع
وما ذاك من عُجْبٍ به غير أنني ... أرى أن ترك الشرِّ للشر أقطع

وقول ابن نباتة:

والصفح لا يحسن عن محسن ... وإنما يحسن عن جاني

٤٩- وإذا استشير في أمر ذي لبس أيقدم عليه أم يحجم عنه أنشد:

مكانك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتألق[1]

(١) البيت من البحر الطويل، وهو لرجل من بني أسد يوم اليمامة. انظر الحماسة ١/ ١٣٩، ومعناه: تريثي يا نفس حتى تتفكري في عواقب الأمور.

وقريب منه قول دعامة بن جسر الطائي:

لا تَقْطَعَنَّ دعامةٌ في مجلس لا تستطيع إذا مضت إدراكها
قِسْ كلَّ أمرك قبل جهرك بالتي فاتت ولما تَسْتَطِعْ إمساكَها

وقول صالح بن عبدالقدوس:

ومن الرجال إذا زكت أحلامهم من يستشار إذا استشير فيطرقُ
حتى يجول بكل وادٍ قلبُه فيرى ويعرف ما يقول وينطق
إن الحليم إذا تفكَّر لم يكن يَخْفَى عليه من الأمورِ الأوفقُ

وكذلك مما يذكر أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سئل عن مسألة، فدخَلَ مبادراً، ثم خرج في حذاء ورداء، وهو يتبسّم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك كنت إذا سُئِلْت عن مسألة كنت فيها كالسِّكة المُحْماة! فقال: إني كنتُ حاقناً ولا رَأْيَ لحاقن، ثم أنشأ يقول:

إذا المشكلاتُ تصدَّيْن لي كشفتُ حقائِقَها بالنَّظَرْ
وإن برقَتْ في مخيل الصوا ب عَمْيَاءُ لا تجتليها الذَّكر
مقنعةً بأمور الغيوب وضعت عليها صَحيحَ الفِكَرْ
لساناً كشقشقة الأرحبيِّ أو كالحسام اليمَانِي الذَّكَرْ
وقلباً إذا استنطقته العيون أمر عليها بواهي الدرر
ولستُ بإمّعة في الرّجال أَسائل عن ذَا وذَا ما الخبرْ
ولكنني ذَرِبُ الأصغرَيْن أبيِّن مَعْ ما مضى ما غبر

٥٠- وإذا أكثر من ذكر أخ له غائب وقيل له في ذلك أنشد:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثَّلُ ليْ ليلى بكل سبيل[1][2]

---

(١) لكثير عزة، أمالي القالي ٣ : ١١٩، والوساطة ١٦٠، ١٧٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٥ وديوان المعاني ١ : ٢٧٤ . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وقريب منه قول أحدهم:

ساكنٌ في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

ونحوه:

اذكر أخانا تولى الله صحبته إني وإن كنت لا ألقاه ألقاه

الله يعلم أني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقول بعض المولدين:

خطرات ذكرك تستنير مودتي فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضوَ لي إلا وفيه صبابة وكأن أعضائي خلقن قلوبا

قال عنه الثعالبي: «مما لا يزيد على حسنه» أحسن ما سمعت ص٣٨.

ونحوه قول ابن طباطبا العلوي:

نفسي الفداء لغائب عن ناظري ومحلُّه في القلب دون حجابه

لولا تمتع ناظري بلقائه لوهبته لمبشري بلقائه

وقول البارودي في رثاء زوجته:

فإذا انتبهت فأنتِ أول ذُكرتي وإذا أويت فأنتِ آخر زادي

وقول بعضهم:

أنتم وإن بَعُدت عنا منازلُكم نوازلٌ بين أسراري وتذكاري

فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم وإن سكتُّ فأنتم عقد إضماري

٥١- وإذا قال له صديق: تناسيتني كأنك لم تعرفني أنشد:

تسلت عمايـاتُ الرجـال عـن الـصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسلي[١][٢]

---

(١) لامرئ القيس في معلقته، وفي البيت قلب، أي: تسلت الرجال عن عمايات الصبا وجهالاته وظلماته، ويقال انسلى انسلاء: زال حبه من قلبه، أو زال حزنه . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وقريب منه قول ذي الرمة:

إذا غَـيَّر النـأيُ المحبـين لم يكـد رسيسُ الهوى من حب ميَّـة يـبرح

وقول آخر:

أغيـب عـنكم بـودٍّ لا يغـيِّره طولُ البعـادِ ولا ضربٌ مـن الملـلِ

وقول العرجي:

لا يحـول الفـؤادُ عنـك بـودٍّ أبـداً أو يحـول لـونُ الغـراب

وقول البارودي:

لا تحسبيني مِلْت عنك مـع الهـوى تـالله مـا تَـرْكُ الوفـاء بِعَـادي

قوله: بعادي: أي بعادتي.

٥٢- وإذا حضر رئيس من الرؤساء وأراد مدحه أنشد :

لـو نـال حـي مـن الـدنيا بمكرمـة أفـق الـسماء لنالـت كفـه الأفقـا[1][2]

---

(١) البيت لزهير في مدح هرم بن سنان، ديوانه ٥٥ . (هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، ونحوه قول زهير في مدح هرم بن سنان:

قـوم أبـوهم سـنان حـين تنـسبهم طـابوا وطـاب مـن الأولاد مـا ولـدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كـرم قـــوم بـــأولهم أو مجـــدهم قعـــدوا

وقوله ـ أيضاً ـ:

هنالك إن يَستخلبوا المالَ يُخلَبـوا وإن يُسألوا يعطوا وإن يُيسروا يغلوا
على مكثريهم حـق مـن يعـتريهم وعنـد المقلـين الـسماحة والبـذلُ

قال عبدالملك بن مروان: «والله ما يبالي من مدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما».

وقول الأعشى:

ألم تـرَ أن العـزَّ ألقـى برحلـه إلى الغُـرِّ مـن أولاد بكـر بـن عـامر

وقوله في مدح هوذةَ بن علي الحنفي ـ وهو من أحسن المدح ـ:

أغـرُّ أبلـجُ يستـسقى الغـمام بـه لو صارع الناس في أحلامهم صرعا
قد حَمَّلوه فتـيَّ الـسنِّ مـا حملـت ساداتُهم فأطاقـا الحِمْـلَ واضـطلعا
وجَرَّبـوه فـما زادت تجـاربهم أبـا قدامـة إلا الحـزمَ والفنعـا
من يَـرَ هُـوذةَ أو يحْلِـلْ بـساحته يَكُـنْ لهـوذةَ فـيما نابَـه تبعـا

ومعنى الفنع: الفضل.

وكل واحد من هذه الأبيات يقول: أنا أحسن وأولى من صاحبي.

وقول الخنساء في أخيها صخر ـ وقيل أمدح بيت ـ:

أغـرُّ أبلـج تـأتم الهـداة بـه كأنـه علـم في رأسـه نـار

واعترض ابن الرومي قولها فقال:

هذا أبو الصقر فـرداً في مكارمـه من نسل شيبان بين الطَّلح والسلم
كأنه الشمس في البرج المنيف لـه عـلى البريـة لا نـارٌ ولا عَلَـمُ

=

= وقول أبي تمام:

لـو أن إجماعنـا في فـضل سـؤدده ... في الـدين لم يختلـف في الملـة اثنـان

وقول علي بن جَبَلة في أبي دلف:

إنـــما الـــدنيا أبـــو دُلَـــفٍ ... بـــين مبـــداه ومحتـــضرِهْ

فـــإذا ولَّى أبـــو دُلَـــفٍ ... ولـــتِ الـــدنيا عـــلى أثـــره

قال عنه أبو هلال: «قالوا أمدح بيت قاله مُحْدَث قول علي بن جبلة المعروف بالعَكوَّك في أبي دلف».

وقول أعرابي في خالد القسري:

تبرعـت لي بـالجود حتـى نعـشتني ... وأعطيتنـي حتـى حـسبتك تلعـب

فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى ... حليف الندى ما للندى عنـك مـذهب

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٦٥

٥٣- وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه أنشد:

طـــوى البـــين أســـباب الوصـــال بكنهـــك أســـباب الهـــوى أن تُخَـــذَّما[1][2]

وينشد -أيضاً- في مثل ذلك:

وكـــان يـــزورني منـــه خيـــال فلـــما أن جفـــا منـــع الخيـــالا[3]

---

(١) التخذيم: التقطيع، وفي الأصل: «تخدما» تحريف. (هـ)

(٢) البيت لجرير (انظر ديوانه ص ٤١٠)، وهو من الطويل، والمعنى أن البعد والفراق قطعا أسباب الصلة بيني وبينك.

وفي الديوان:

بِكنْهِلَ أسبابُ الهوى أن تَجَذَّما

وكنهل: موضع من ديار تميم.

ونحوه قول الشاعر:

ولا يلبث الهجران أن يقطع النوى إذا لم تطـــالع آلفـــاً أو يطـــالع

وقول أبي فراس:

قـــل لإخواننـــا الجفـــاة رويـــداً إذ رجونـــا إلى احـــتمال المـــلال
إن ذاك الـصدود مـن غـير جـرم لم يـــدع فيَّ موضـــعاً للوصـــال

وقول العمراني:

يـــا صـــاحبي والهجـــر شرٌّ بليـــة مـــا دام في قـــوسِ المحبـــةِ مَنـــزعُ

وقول القائل:

إني ليهجـــرني الـــصديق تجنبـــاً فأريـــــه أن لهجـــــره أســـــبابا
وأخـــاف إن عاتبتـــه أغربتـــه فـــأرى لـــه تـــرك العتـــاب عتابـــا

(٣) البيت من الوافر، وهو للوأواء الدمشقي (انظر ديوانه ١/ ٢٦٢).

يقول: وكان طيف ذلك الأخ يتراءى لي في منامي، أو في خاطري؛ فلما تجافى عني لم أعُدْ أرى ذلك الطيف.

٥٤- وإذا رأى رجلاً يثني على أخيه، ويحضر له محضراً جميلاً أنشد:

قــوم لهــم عرفــت مَعَــدٌّ بفــضلها والحـــق يعرفـــه ذوو الألبـــاب[١][٢]

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو آخر ديوانه المطبوع في فينا سنة ١٨٨٠، والرواية فيه: «عرفت معد فضلها». (هـ)

(٢) من الكامل، وقريب منه قول القائل:

وما عبَّر الإنسان عن فـضل نفـسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضـل

وقول الآخر:

إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه

وقولي شوقي:

ولـــيس بالفاضـــل في نفـــسه مـــن ينكـــر الفـــضل عـــلى ربـــه

٥٥- وإذا قيل له: قد أقررت لمناظرك أنشد :

أحس بالفضل في غيري فأنكره ما ينكر الفضل إلا كل منقوص[1]

---

(١) البيت من البسيط، ومعناه: أنه لا ينبغي لي أن أنكر فضل الفاضل وأنا أراه رأي العين؛ فَإنْ أنا فعلت ذلك دخلت في قبيل أهل النقص الذين يبخسون الناس أشياءهم.

ولا ريب أن الاعتراف بالفضل لأهله ضرب من ضروب العدل والإنصاف، ودليل على زكاء السيرة، ونقاء السريرة.

وقريب منه قول القائل:

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى يَدَ النقصِ عنه بانتقاص الأفاضل

وقول لسان الدين بن الخطيب:

لا ينكر الفضل لِلأَكه إلا امرؤ غطّى عليه الحسدْ

وقول بديع الزمان الهمذاني:

وهل يجحد الشمسَ إلا العميُّ وهل يعرف الفضل إلا ذووه

وقول البارودي:

من أين يدري الفضلَ معدومُه لا يعرف المعروف إلا ذووه

وهذا المضرب قريب مما قبله، ومما بعده، وشواهد هذه المضارب قريبة من بعض.

٥٦- وإذا رأى رجلاً ينتقص فاضلاً أنشد :

مـــا ضر تغلـــب وائـــل أهجوتهـــا أم بُلَـــتْ حيـــثُ تنـــاطح البحـــران[1][2]

---

(١) البيت من قصيدة للفرزدق في ديوانه ٨٨٢ يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه، مادحاً في ذلك بني تغلب، ويهجو جريراً ، وقبل البيت وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجـاء إذا التقـت أعناقـــه وتماحـــك الخـــصمان

وتغلب ابنة وائل هم قوم الأخطل، تناطح البحران: تقابلا.

انظر الحيوان ١ : ١٣، والبيان ٣ : ٢٤٨ ، والخزانة ٢ : ٥٠١ . (هـ)

(٢) من الكامل، ومعنى البيت أنك إذا ذممت الفاضل فإنك لا تضر إلا نفسك.

وقريب منه قول الفرزدق:

مـا يـضير البحـرَ أمـسى زاخـراً أن رمـــى فيـــه غـــلام بحجـــر

وقول حسان رضي الله عنه :

مـا أبـالي أنـبَّ بـالحَزْن تـيسٌ أم لحـــاني بظهـــر غيـــبٍ لئـــيم

معنى: نَبَّ التيس: إذا صاح عند الهياج، والحَزْن: ما غلظ من الأرض، ولحَاني: شتمني.

وقال ـأيضاًـ ولعل الفرزدق أخذه منه:

خُـــبِّرت أن طويلبـــاً يغتابنـــا بعـــضيهة يَتَنَحَّـــل الأقـــوالا

مـا ضر سـادةَ نهـشلٍ أهجوتهـا أم قـام في عُـرْضِ الخَـوي فبـالا

العضيهة: الإفك، والبهتان، والنميمة، وَيَتَنَحَّل: يدَّعي، والخَوي: السهل من الأرض.

ونحوه قول القائل:

إذا الكلـب لا يؤذيـك إلا نباحُـه فدعـــه إلى يـــوم القيامـــة ينـــبح

وقال أبو تمام:

لقد آنَفَ الأعـداءَ مجـدُ ابـنِ يوسـف وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مُوْلَـعُ

وقال الطِّرِمَّاح:

لقـــد زادني حبـــاً لنفـــسيَ أننـــي بغـيضٌ إلى كـل امـرئٍ غَـيْرِ طائـل

وأني شـــقيٌّ باللئـــام ولا تـــرى شـــقياً بهـــم إلا كـــريمَ الـــشمائل

٥٧- وإذا أقصاه رئيس بعد إنابته[١] أنشد :

يـا أفـضل النـاس إني كنـت في نَهَـرٍ أصبحت منـه كمثـل المفـرد الـصادي[٢]

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة مهملة الحرف الذي بعد الألف الثانية .(هـ)

(٢) البيت من البسيط، وهو لحسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء رسول الله ﷺ (انظر ديوانه ص٦٧)، ومعناه: أنني يا خير البرية كنت في ظل بركتك في عيش ناعم، وريٍّ كامل، وبعد موتك صرت كالمبعد العطشان.

ويصلح شاهداً للمضرب قولُ أبي الفتح البستي:

عزلـت ولم أذنـب ولم أك جافيـاً وهـذا لإنـصاف الأمـير خـلافُ
حُذِفْتُ وغيري مُثْبَتٌ في مكانـه كـأنيَ نـونُ الجمـع حـين تـضاف

وقوله:

ذَهَبْـتُ في نـصرة أيـامكم بـالعزلِ والعـزلُ أخـو الأَزْلِ
أُدْرِجـت في أثنـاء نـسيانكم حتـى كـأني ألـفُ الوصـل

والأَزْل: الضيق والشدة.

وقول بشار في يزيد بن منصور حين قطع وظيفته:

أبا خالدٍ مـا زلـت سـابحَ غمـرةٍ صغيراً فلما شبتُ خَيَّمْتُ بالـشاطي
جريْت زمانـاً سـابقاً ثـم لم تـزل تأخر حتى جئت تطوي على القاطي
كَـسَنَّور عبـدالله بيـع بـدرهم صـغيراً فلـما شـبَّ بيـع بقـيراط

ولهذا قيل: من تاه في ولاية ذل في عزله، ومنه قول يحيى بن زيادة:

لا تغـبطن وزيـراً للملـوك وإن أنالُـه الـدهرُ مـنهم فـوق قيمتـه
واعلم بأن لـه يومـاً تمـور بـه الـ أرض الوقـور كـما مالـت لهيبتـه

وقال أحد الشعراء:

مـا مـسني سـقم ولكننـي جفـوت نفـسي إذ جفـاني الأمـير

وقيل: إن العزل حيض العمال، قال أحدهم:

وقـالوا: العـزل للعـمال حـيضٌ لحـاه الله مـن حـيض بغـيضِ
فـإن يـك هكـذا فـأبو عـليٍّ مـن اللائـي يئـسن مـن المحـيضِ

٥٨- وإذا كلفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضيِّ أنشد:

لم أكـــن مـــن جُناتهـــا علـــم الله وإني بِحَرِّهـــا اليـــوم صـــالي[١][٢]

(١) البيت للحارث بن عباد، قاله في يوم قضة.

انظر العقد والخزانة ١ : ٣٠٣ وأمالي القالي ٣ : ٢٦ والأغاني ٤ : ١٤٤ . (هـ)

(٢) البيت من الخفيف، وقريب من معناه قول القائل:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكـــأنني ســـبابة المتنـــدم

وقريب منه ما في المضرب رقم ٦٩

٥٩- وإذا رأى أمراً فظيعاً تقضَّى، ثم تجدد مثله أنشد :

إذا لهــبٌ مــن جانــب بــاخ شرُّه ذكــا لهــبٌ مــن جانــب فتــضرما[1][2]

---

(١) باخ: سكن وفتر . (هـ)

(٢) البيت لنهشل بن حَرِّي، وهو من الطويل، ومعنى البيت: أنه إذا سكن الشر، وفترت المصيبة من جهة تجددت من جهة أخرى.

وقريب منه قول سويد بن أبي كاهل:

وإذا مــا قلــت ليــل قــد مــضى عطــــف الأول منـــه فرجـــع

وقول البعيث:

تطــاول هــذا الليــل حتــى كأنــه إذا مــا مــضى تثنــى عليــه أوائلــه

وقول عدي بن الرقاع:

أرعى النجـوم إذا تغيَّـب كوكـب أبــصرتُ آخــرَ كالــسراج يحــول

وقول العمراني:

فــإذا تعــافى موضــعٌ لم ألتفــت إلا وقــد ورث الــشكاية موضــعُ

وقريب منه في المعنى ما في المضرب الآتي رقم ٦٠

٦٠- وإذا حضر محفلاً من محافل النظر، وكلمه خصم فدفعه، وانبرى له خصم آخر أنشد:

إذا مـا دفعنـا هـؤلا جـاء هـؤلا إلينـا فكـل بالعـداوة مولـع[1]

(١) البيت من الطويل، ومعناه: أننا إذا انتهينا من خصم ظهر لنا خصم آخر.

ونحوه:

وحُزتَ رهان السبق في حَلْبة العلا فأنـت لهـا دون البريـة صـاحب
ولا كثـرة الأعـداء تغنـي جموعُهـا إذا لمعـت منـك النجـوم الثواقـب

وقريب منه قول العماني:

ومقـول نعـم لـزاز الخَـصْم ألـدُّ يـشتق لأهـل العلـم
بباطـل يـدحض حـق الخـصم حتـى يـصيروا كـسحاب الـبكم

وقريب منه ما في المضرب رقم ٦٢ و ١٢٤.

٦١- وإذا كثر الصياح في المحفل أنشد:

يـا أيهـا الراكـب المزجـي مطيتـه سائل بنـي أسـد مـا هـذه الـصَّوْتُ[1][2]

---

(١) لرويشد بن كثير الطائي، الحماسة ١/ ٤٧، واللسان (صوت).

والمزجي: السائق، وقد أَنَّثَ الصوت، وفي اللسان إنما أَنَّثَه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة، ويصح أن يراد بالصوت ما يبلغه عنهم. (هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، وقريب منه قول الشيخ محمد الخضر حسين:

وانثنـى بي نحـو نـادٍ نـشبوا في لِحـاءٍ ولجـاج منتـشر
لا تعـي بيـنهمُ إلا وغـى في مـزيج مثـلِ ضـغثٍ معتكـر

٦٢- وإذا قيل له: كثر أخصامك أنشد:

تفــور علينــا قِــدْرُهم فنــديمها ونفثؤهــا عنــا إذا حموهــا غــلى[1][2]

---

(١) البيت للنابغة الجعدي، كما في مقاييس اللغة (دوم، فور، فثأ) واللسان (فثا، دوم).
يقال أدام القدر إدامة، إذا سكن غليانها بالماء، وكذلك فثأها: سكن من غليانها. والحمو والحَمِي: شدة الحرارة، ورواية المقاييس واللسان: «حميها». (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ونحوه قول الشاعر:

تفرقــت الظبــاء عــلى خــراشِ فــما يــدري خــراش مــا يــصيد

وقول الآخر:

إذا جـاء موسـى وألقـى العـصا فقــد بطــل الــسحر والــساحر

ونحوه قول أبي بكر الصولي:

إذا ما بدا والقوم فوق سروجهـم تناثرت الأشراف منهم على الأرض

وقول ابن المعتز:

أنــا جــيشٌ إذا غــدوت وحيــداً ووحيــدٌ في الجحفــل الجَــرَّار

وقول الشاعر:

إذا افتدى واحتبى بالسيف دان له شــوسُ الرجــال خــضوعَ الجَــرْبِ
كأنما الطير مـنهم فـوق هـامتهم لا خوفَ ظلم ولكن خوفَ إجـلالِ

وقول الشاعر:

ألا ربَّ خصم ذي فنـون علوتُـه وإن كان ألـوى يـشبه الحـقَّ باطلُـه

وقول الآخر:

ولي لــسان إذا أطلقتــه عرضــاً ســعى مــساعيَ ضرغــام وثعبــان

وقريب من هذا المضرب ماجاء في المضرب رقم ٦٠ و ١٢٤.

٦٣- وإذا بدأه سائل بالسؤال مناظراً له أنشد :

قَرِّبـــا مَـــرْبطَ النعامـــةِ مِنـــي لَقِحَـتْ حـربُ وائـلٍ عـن حيـال[1][2]

---

(١) للحارث بن عباد، كما سبق في «لم أكن من جناتها»، المربط: بفتح الباء وكسرها: موضع ربط الدابة، والنعامة: اسم فرسه، عن حيال: أي بعد حيال، والحيال: ألا تحمل الناقة، عنى أن الحرب هاجت بعد سكون . (هـ)

(٢) البيت من الخفيف، ونحوه قول الشاعر:

شَـبَّتِ الحـربُ فأعـددت لهـا مُفْـرَغ الحـارِكِ مـرويَّ الثـبج

الحارك: أعلى الكاهل، والثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر.

وقول ابن الرومي:

خـذها تبوعـاً لمـن يهـوى مـسومةً كأنهـا كوكـب في إثـر عفريـت

معنى قوله: تبوعاً: أي تابعة، ومعنى: مسومة: أي مُعَلَّمة.

٦٤- وإذا نُعي له حميمٌ أو ذو مودة أنشد :

لـيس عَـدْمُ الأمـوال عـدماً ولكـن فقـد مـن قـد رُزِئْتُـهُ الإعـدام[1][2]

---

(١) لأبي دواد الإيادي، العمدة ١ : ٦١ والوساطة ٤٧، وبه قيل: إن أبا دواد أشعر الناس، ويروى: «لا أعد الإقتار عدماً». (هـ)

(٢) البيت من الخفيف، ومعناه: ليس العدم عدم الأموال؛ فهي تذهب وتجيء.
وإنما المصيبة، والعدم المحض هي فقد ذلك الإنسان، ونحوه قول القائل:

إن الرزيـة لا رزيـة مثلهـا فقـدان مثـل محمـد ومحمـد

وقول الآخر:

لعمـرك مـا الرزيـة فقـد مـال ولا شـاة تمـوت ولا بعـير
ولكـن الرزيـة فقـد شـخص يمـوت لموتـه خلـق كثـير

وقول أبي تمام:

توفيـت الآمـال بعـد محمـد وأصبح في شغل عن السَّفَرِ السَّفْرُ

وقوله:

وإذا فقـدت أخـاً ولم تفقـد لـه دمعـاً ولا صـبراً فلـست بفاقـدِ

وقول إبراهيم بن إسماعيل:

إن الرزيـة يـا ابـن موسـى لم تـدع للعـين بعـدك للمـصائب مـدمعا
والـصبر يُحْمَـدُ في المـواطن كلهـا والصبر أن يُبْكَـى عليـك ويُجْزَعـا

وقول الشاعر:

إذا متَّ مات الجودُ وانقطع النـدى مـن النـاس إلا مـن قليـلٍ مُـصَرَّدِ

وقريب منه ما في المضرب رقم ٨٨ .

٦٥- وإذا حضر حضرة ملك وبالغ في الثناء عليه أنشد :

وأنـك شـمسٌ والملـوك كواكـب إذا طلعـت لم يبـد مـنهن كوكـب[1][2]

---

(١) النابغة الذبياني من قصيدة في ديوانه ١٢ يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه.

ورواية الديوان: «لأنك شمس» وقبله :

ألم تـر أن الله أعطـاك سـورة تـرى كُـلَّ مَلْـكٍ دونهـا يتذبـذب

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، قال أبو هلال العسكري رحمه الله: «سمعت أبا أحمد الحسنَ ابنَ عبدالله ابن سعيد رحمه الله يقول: أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني:

ألم تـر أن الله أعطـاك سـورة تـرى كُـلَّ مَلْـكٍ دونهـا يتذبـذب

بأنك شـمس والملـوك كواكـب إذا طلعـتْ لم يبـدُ مـنهن كوكـب

كتاب ديوان المعاني ١/ ١١٣

والمعنى: إذا صلحت لي أنت فلا أريد غيرك من الملوك، كما أن من طلعت عليه الشمس لم يحتج إلى النجوم.

قال أبو ذكوان عن هذين البيتين: «وما رأيت أعلم بالشعر منه -أي النابغة- ثم قال: لو أراد كاتب أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلام».

كتاب ديوان المعاني ١/ ١١٥

هذا وقد سبق بعضُ شعراء كندة النابغةَ إلى هذا المعنى، فقال يمدح عمرو بنَ هِند:

تكـاد تميـد الأرض بالنـاس أن رأوا لعمـرو بـنِ هنـدٍ غـضبةٌ وهـو عاتـب

هو الشمسُ وافت يومَ سعدٍ فأفضلت إلى كـل ضـوء والملـوك كواكـب

ونحوه في المبالغة في الثناء على الملوك والسادة قول البحتري:

ولو ان مـشتاقاً تكلـف فـوق مـا في وسـعه لـسعى إليـك المنـبر

وقول أبي الطيب المتنبي:

لكل امـرئ مـن دهـره مـا تعـودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

=

= وقوله:

فـإن تفـق الأنـام وأنـت مـنهم ... فـإن المـسك بعـض دم الغـزال

وقول ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

مُلْكُـه مُلْـكُ رحمـةٍ لـيس فيـه ... جـبروتٌ يُخـشى ولا كبريـاء

وقول جرير في حضرة عبدالملك ـ وقيل: إنه أمدح بيت قالته العرب:

ألـستم خـير مـن ركـب المطايـا ... وأنـدى العـالمين بطـونَ راح

وقول الأعرابي في عبدالملك بن مروان:

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... أحـداً سـواك إلى المكـارم ينـسب
فاصـبر لعادتنـا التـي عوَّدتنـا ... أوْ لا فأرشـدنا إلى مـن نـذهب

وقول كشاجم:

ومهـذبِ الألفـاظ مَنْطِقُـه ... مـا فيـه مـن خطـلٍ ولا مـينِ
ما شئتَ مـن ظُـرْفٍ ومـن شِـيَم ... مـا في محاسـنهن مـن شـين
مـا كـان أحـوجَ ذا الكـمال إلى ... عيـبٍ يوقِّيـه مـن العـين

وقوله:

يـا كامـلَ الآدابِ منفـردَ العـلا ... والمكرمـاتِ ويـا كثـيرَ الحاسـد
شخَصَ الأنامُ إلى كمالك فاستعذ ... مـن شر أعيـنهم بعيـب واحـد

ولعل قول جرير في عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:

فلا هـو في الـدنيا مـضيع نـصيبه ... ولا عرضُ الدنيا عن الدين شـاغله

لعله أروع من بيته الآنف الذكر الذي قاله في عبدالملك وإن لم يَسِرْ مسيره، ويبلغ شهرته.

وقد روي أن عبدَالله بنَ أبي السمط أنشد بين يدي المأمون أبياتاً يمدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أضحى إمام الهدى المأمون مـشتغلاً ... بالـدين والنـاس بالـدنيا مـشاغيل

قال له المأمون: ما زدت أن جعلتني عجوزاً في محراب وبيدها سُبْحة!

أَعَجزْتَ أن تقول كما قال جرير في عمر بن عبدالعزيز:

فلا هـو في الـدنيا مـضيعٌ نـصيبَه ... ولا عرضُ الدنيا عن الدين شـاغله

وهذا المضرب قريب مما جاء في المضرب رقم ٥٢

٦٦- وإذا فخر بمن تقدم من العلماء والكبراء أنشد :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإنْ نَحْنُ أومأنا إلى الناس وقَّفوا[1][2]

---

(١) للفرزدق في ديوانه ٥٦٨ وأمالي القالي ٣ : ١١٩.

وفي الأمالي عن طلحة بن عبد الله قال : «لقى الفرزدق كُثَيِّراً بقارعة البلاط وأنا معه، فقال: أنت يا أبا صخر أنسب العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ثم قال : «وهذان البيتان لجميل، سرق أحدهما كثير، والآخر الفرزدق». (هـ)

(٢) هذا البيت من البحر الطويل، وقريب منه في الفخر قول الفرزدق ـأيضاًـ:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة:

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

وقول لبيد رضي الله عنه :

وهمُ ربيعٌ للمجاورِ فيهمُ والمرملاتِ إذا تطاول عامُها

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

مطاعيمُ في المشتى مطاعينُ في الوغى إذا الحربُ كانت كالحريق المُصَرَّمِ

وتُلْفي لدى أبياتنا حين نُجتَدى مجالسَ فيها كلُّ سَهْلٍ مُطَهَّمِ

قوله مطاعيم: جمع مطعام، وهو الواسع القِرى، وقوله: نُجتدى: يطلب جدوانا، والجدوى: العطية.

=

= وقوله في آل جفنة الغسانيين:

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلّق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شُمُّ الأنوف من الطراز الأول
يُغْشَون حتى ما تَهِرَّ كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

وهذه الأبيات من أبدع ما قيل في المدح، وأحسنها البيت الأخير، يقول:

إن الغساسنة أَنِسَتْ كلابُهم بالزوار؛ فهي لا تَنْبَحُهم، وهم من شجاعتهم لا يسألون عن جيش يُقْبِلُ نحوهم؛ لقلة اكتراثهم به، ولثقتهم ببسالة أنفسهم، وشدتهم على أعدائهم ـ كما يقول أبو هلال ـ.

وقال ـ أيضاً ـ: «قالوا أمدح بيت قالته العرب قول حسان:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شُمُّ الأنوف من الطراز الأول

وقال ـ أيضاً ـ: بيض الوجوه: معناه: مشهورون ببهاء، ولم يَعْنِ بهم البياض.

وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير».

كتاب ديوان المعاني ١/ ١٤٩

وقريب منه قول الحطيئة ـ وقال عنها ابن شبرمة: أمدح بيت قالته العربُ:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البُنا ... وإن عاهدوا وفَّوا وإن عقدوا شَدُّوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدُّوا
أقلَّوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سدوا
ويعذلني أبناء سعد عليهم ... وما قلت إلا بالذي علمت سعدُ
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ... وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والحدُّ

قال أبو هلال العسكري تعليقاً على هذه الأبيات: «ولعمري إن معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها، وكل من تناولها فإنما استعارها من الحطيئة، وهي جامعة لخصال المدح كلها». كتاب ديوان المعاني ١/ ١٥١

وقال الأصمعي رحمه الله: «أتيت شعبة بن الحجاج يوماً وعنده حماد بن سلمة، وهما يتكلمان في حديث، فقال له شعبة: يا أبا سلمة: كيف تنشد قول الحطيئة:

أولئك قوم .....

=

= فابتدأت القصيدة من أولها إلى أن بلغت:

أولئك قوم إن بنـوا أحـسنوا البنـا .....

ـبكسر الباء من كلمة البناـ فقال له حماد بن سلمة: يا بني؛ إن العرب تقول بنى يبني بِناءً في العُمران، ويقولون في الشرف بنا يبنو بُناءً، فأنشد هذا:

أولئك قوم إن بنـوا أحـسنوا البُنـا .....

قال الأصمعي: فعرفت قدر حماد بن سلمة من ذلك اليوم، فـما كنـت أنـشده إلا مـا كنـت أتقنه». **انظر الجليس الصالح الكافي للمعافى الجريري ١/ ٥٥٠ـ٥٥١ .**

ونحوه في الفخر قول المزدلف:

وإنـا إذا مـا الحـقُّ أعـوزَ أهلَـه أوى كـل مطلـوب إلينـا وطالـب

وقول الحكم بن عبدالرحمن:

إذا وُلِـدَ المولـودُ منـا تهلّلـت لـه الأرض واهتـزت إليهـا المنـابرُ

وقول أبي فراس:

إذا مـررت بنـادٍ جـاش غاربُـه فاعقل قلوصك وانزل ذاك نادينـا
وإن وقفـت بـوادٍ لا يُطيـفُ بـه أهل السفاهة فـاجلس ذاك وادينـا

وقال آخر ـوهو من أبيات المعانيـ:

وحللـت مـن مُـضَرٍ بـأمنع ذُروةٍ منعـت بحـدِّ الـشوكِ والأحجـار

قالوا: يريد بالشوك أخواله، وهم: قتادةُ، وطلحة، وعوسجة.

ويريد بالأحجار: أعمامَه، وهم: صفوان، وجندل، وصخر، وجرول.

٦٧- وإذا أثنى على رجل معطاء أنشد :

لـيس يعطيـك للرجـاء وللخـو ف ولكـن يلـذ طعـم العطـاء[١][٢]

---

(١) البيت لبشار بن برد من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم، ديوانه ١: ١٠٧ـ ١١٣، وقبله، كما في الديوان والأغاني ٣ : ٤٣ :

إنـما لـذةُ الجـوادِ ابـنِ سَـلْم في عطـاءٍ ومركـبٍ لِلِقَـاءِ

(هـ)

(٢) البيت من الخفيف، ونحوه قول بشار ـأيضاًـ في مدح خالد بن برمك:

إذا جئتـه للحمـد أشرق وجهـه إليك وأعطـاك الكرامـةَ والحمـدا

وقول آخر:

ويكـاد مـن فـرط الـسخاء بنانُـه حُبَّ العطاء يقول: هل من سـائل

وقول آخر:

إذا مـا أتـاه الـسائلون توقَّـدت عليـه مـصابيحُ الطلاقـة والبـشر
وأَنْعُمُه في النـاس فـوضى كأنهـا مواقـعُ مـاءِ المـزنِ في البلـد القفـرِ

ومعنى فوضى: أي مُشترك فيها، مُختلَطَة.

وقول آخر:

مفيـدٌ ومـتلافٌ إذا مـا سـألته تهلـل واهتـز اهتـزاز المهنـدِ

وقول البحتري:

متهلـلٌ طَلْـقٌ إذا وعـد الغنـى بالبـشر أَتْبَـعَ بِـشْرَه بالنائـل

ومن أشهر، وأقدم، وأجود ما قيل في هذا المعنى قول زهير في مدح حصن بن حذيفة ابن بدر:

تـراه إذا مـا جئتـه مـتهللاً كأنـك تعطيـه الـذي أنـت سـائله

قال أبو هلال العسكري رحمه الله عن هذه الأبيات: «قالوا أمدح بيت قالته العرب».

=

= وقال: «وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل في الشعر القديم».

قال: «وعاب بعضهم هذا البيت، فقال: جَعَل الممدوحَ فَرِحاً بِعَرَضٍ يناله، وليس هذا شأنَ الكبيرِ الهمةِ، والجيِّدُ قولُ أبي نوفلٍ عمروِ بنِ محمد الثقفي:

ولـئن فرحـتَ بـما ينيلـك إنـه ... لـبما ينالـك مـن نـداه أفـرحُ

مـا زال يعطـي ناطقـاً أو سـاكتاً ... حتـى ظننـتُ أبـا عقيـل يمـزح

فجعله يفرح بما ينيل، ومثل قول أبي تمام:

أسـائِلَ نَـصْرٍ لا تـسله فإنـه ... أحـنُّ إلى الإرفـاد منـك إلى الرِّفْـد

ديوان المعاني ١/ ١٣٥ـ١٣٦

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٢٧ .

٦٨- وإذا قصد امرأً في حاجة، وكرر الزيارة له ولم يَرَ ما يحبه أنشد:

كفـــى طلبـــاً لحاجـــة كـــلِّ حـــرٍّ مداومـــــة الزيـــــارة والـــــسلام[1]

---

(١) البيت من الوافر، ومعناه: أن قصارى ما حصَّلته من قَصْدِ ذلك الرجل الذي أؤمِّل فيه قضاء حاجتي ـ أَنْ صِرْتُ أُكْثِرُ من الزيارة والسلام عليه.

وقريب منه قول الأول:

أروحُ بتـــسليم وأغـــدو بمثلـــه وحـسبك بالتـسليم منـي تقاضـيا

وقول آخر:

صحبتكم عـامين في حـال عـسرةٍ أُرَجِّـي نـداكم والظنـون فنـون
فما نلـت مـنكم طـائلاً غـير أننـي تعلمت حال الفقـر كيـف تكـون

وقول آخر:

أروح وأغدو نحـوكم في حـوائجي فَأُصْبِحُ منهـا غُـدوةً كالـذي أمـسي
وقد كنت أرجو للصديق شـفاعتي فقد صرت أرضى أن أَشَفَّع في نفسي

٦٩- وإذا أخذ إنسان يتهم أحداً غيره أنشد[١] :

رأيــت الحــرب يجنيهــا رجــالٌ ويــصلى حرَّهــا قــومٌ بــراء[٢]

قلت : وينشد في ذلك أيضاً قول القائل :

لم أكــن مــن جناتهــا[٣] **.....(البيــت المتقــدم)**

---

(١) هذا المضرب محل نظر، ولعل صوابه أن يقال: وإذا أخذ إنسان يتهم أحداً غير الجاني أنشد...
أو أن يقال: وإذا رأى شخصاً يُعاقَبُ أو يُتَّهَمُ بجريرةِ غيرِه أنشد...
أو أنه هكذا: وإذا أُخذَ إنسانٌ يُتَّهمُ أحدٌ غيرُه أنشد...
وهنا يستقيم الكلام، وإذا كان كذلك فهو معنىً توارد عليه الشعراء كما في الشواهد التالية على هذا المضرب.

(٢) أنشده في اللسان (برأ) برواية: «يجنبها رجال»، وبراء مثلثة الباء: فهي بالفتح مصدر سمي به، وفي التنزيل: (**إنني براء مما تعبدون**) وبالكسر: جمع بريء، كظريف وظراف، وبالضم جمع لا واحد له، نحو تؤام وظؤار . (هـ)

(٣) هذا البيت من الخفيف، وقد مر في المضرب رقم ٥٨.

وينشد في ذلك أيضاً:

وحملتني ذنب امرئ وتركته كَذِي العرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع[1][2]

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٥٤ من قصيدة يمدح فيها النعمان، ويعتذر إليه، وبهجو مرة بن ربيعة.

العُر: بضم العين: قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها الماء الأصفر، فتكوى الصحاح؛ لئلا تعديَها المِراض.

وأما أبو عبيدة فيقول: إن هذا لا يكون، وإنما هو على جهة المثل.

وقال ابن دريد: ومن رواه بالفتح فقد غلط؛ لأن الجَرَبَ لا يكوى منه . (هـ)

(٢) هذا البيت من الطويل، وقريب منه قول امرئ القيس:

وقَاهم جدُّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وقال آخر:

جَنَى ابنُ عمِّك ذنباً فابتليت به إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

وقال آخر:

نصدُّ حياءً أن نراك بأعين جنى الذنبَ عاصيها فَلِيم مطيعُها

وقال البحتري:

ولا عذرَ إلا أن حِلْمَ حليمها يُسَفِّه من شرٍّ جناه خليعها

وقال أبو الطيب المتنبي:

وجرم جَرَّهُ سفهاءُ قوم وحل بغير جارمه العذابُ

وقول المساور بن هند:

شَقِيتْ بنو سعدٍ بشعر مساورٍ إن الشقيَّ بكل حبل يخنق

٧٠- وإذا عارضه معارض في علة بلا علم أنشد :

أخـــو عـــديٍّ أمـــسى يـــساجلني مـــا لعـــديٍّ ومـــا لـــذا العمـــل[1]

(١) البيت من المنسرح، والمعنى: أن هذا المعارض يهرف بما لا يعرف، ويتكلم بما لا يحسن، راكباً متن عمياء، خابطاً خبط عشواء.

وقريب منه قول القائل:

وحاطب ليلٍ في القـريض زجرتُـه وقلت لـه قـول النـصيح المجامـل

إذا أنـــت لم تقـــدر عـــلى دُرِّ لجَّـــةٍ فَدَعْهُ ولا تعرض لحصباء سـاحل

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ١٠، والمضرب رقم ٩٢ .

٧١- وإذا ذكر قوماً أشحاء أنشد:

دراهمهم لا تستطاع كأنها فريسةُ ليثٍ أحرزتها مخالبه[1]

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أن هؤلاء القوم قد بلغ بهم الشحُّ مبلغاً عظيماً، حتى لكأن المال الذي بين أيديهم فريسةٌ في يدِ أسدٍ قد أحكم إمساكها؛ بحيث لا يمكنها أن تفلت منه، أو يأخذها أحد من بين يديه.

ونحوه قول جحظة:

قومٌ أحاول نيلَهم فكأنني حاولت نتْفَ الشَّعْرِ من آنافهم

وقول بشار:

وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زرقُ العيون عليها أوجهٌ سودُ

وقريب منه قول جؤية بن النضر:

لا يعرف الدرهم المضروب صُرَّتَنا لكن يمرُّ عليها وهو منطلق

حتى يصير إلى نَذْل يخلده يكاد من صره إياه ينمزق

وقول البحتري يهجو قوماً:

لو يملكون الضوء بُخلاً لم يكن للخلق ضَوْ

وقبله:

إن الزمانَ زمانُ سُوْ وجميع هذا الخلقِ بَوْ

وإذا سألتهمُ ندىً فجوابهم عن ذاك وو

ذهب الكرام بأسرهم وبَقِيْ لنا ليتٌ ولو

البَو: الأحمق، وهو -أيضاً- جلد الحوار الذي حُشي تبناً، والمعنى أنهم فارغون ليس عندهم شيء، مخادعون يخدعون غيرهم كما تخدع الناقة بهذا البوّ المتخذ من جلودها.

والوَو: من وأى، أي وعد.

٧٢- وإذا قيل له أرضيت بكذا وأنت أعلى منزلة منه أنشد :

وما كنت أخشى أن أرى العير مركبي ولكن من يمشى سيرضى بما ركب[1]

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أنني ما كنت أظن أني سأنزل إلى هذه الدرجة بعد ما كنت فيه العز، ولكن كما تقول العرب: إذا لم يكن ما تريد فَأَرِدْ ما يكون.

ونحوه قول الشاعر:

إذا ما لم أَجِدْ ماءً طهوراً أبيح ليَ التيمم بالتراب

وقريب منه قول عبدالرحمن بن سويد المري:

كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء

وقول آخر:

من عاش أخلقَتِ الأيامُ جِدّتَه وخانه الثقتان السمع والبصر

وقول الربيع بن ضبع الفزاري:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأسِ البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوةٍ أُصيب بها أصبحتُ شيخاً أعالجُ الكِبَرا

٧٣- وإذا زار مريضاً أنشد :

ونعـــود ســـيِّدَنا وســـيدَ غيرِنـــا ليـــت التـــشكيَ كـــان بـــالعواد[1][2]

(١) لكثير عزة، قال في عيادتِه عبدَ الملك بن مروان. عيون الأخبار ٣: ٥٠ ، وبعد:

لـــو كـــان يقبـــل فِدْيـــةً لفديتـــه بالمـصطفى مـن طـارفي وتـلادي

لكن في الشعر والشعراء ٤٩٧ أنه دخل لعيادة عبد العزيز بن مروان، على أن البيت قد روى في قصيدة لجرير في ديوانه ١٢٢ يقوله في عبد العزيز بن الوليد عبد الملك، وكان الوليد كتب إلى أجناد الشام أن يدعوا لعبد العزيز بن الوليد، ودعا هُوَ لَهُ في مسجد دمشق في جماعة الناس، وكان عليلاً . (هـ)

(٢) البيت من الكامل، ويروى -أيضاً- للأخطل؛ فقد ذكر ابن منظور في المنتخب والمختار في النوادر والأشعار «أن الأخطل دخل على عبدالعزيز بن مروان وهو مريضٌ يعوده، فقال:

ونعـــودُ ســـيدنا وســـيدَ عِزِّنـــا ليـــت التـــشكي كـــان بـــالعواد

لـــو كـــان يقبـــل فديـــة لفديتـــه بأنـــاملي وبطـــارفي وتـــلادي

فقال عبدالعزيز بن مروان: يا غلام! أعطِهِ عشرة آلاف درهم؛ إن هؤلاء -والله- ما يعطوننا صافيَ ما عندهم إلا ليصيبوا خالص ما عندنا» ص٢٠٤ .

وقال الثعالبي: «ومن أحسن ما قيل في عيادة السادة قول بعضهم:

قالوا: أبو الفضل معتلٌّ فقلت لهـم نفسي الفـداءُ لـه مـن كـل محـذور

ياليـــت عِلَّتَـــه بي غـــير أن لـــه أجْـــرَ العليـــل وأني غـــير مـــأجور

أحسن ما سمعت ص ١٢٢

٧٤- وإذا حذر ناساً عدواً غفلوا عنه أنشد :

بنـــي أميـــة إني ناصـــح لكـــم فـــلا يبيـــتن فـــيكم آمنـــاً زفـــر[1][2]

(١) للأخطل في ديوانه ١٠٣ والحيوان ٥: ١٦٣، وزفر هذا، هو ابن الحارث الكلابي، كان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة. الكامل ٥٣٣ ليبسك والجهشياري ٣٥ وكان زفر من التابعين، سمع عائشة ومعاوية.

شرح شواهد المغنى ٣١٥ . (هـ)

(٢) البيت من البسيط، ونحوه قول نصر بن سيار يحذر بني أمية بقوله:

أرى خلـلَ الرمـاد ومـيضَ جَمْـرِ ويوشـك أن يكـون لهـا ضرامُ
فـإن النـارَ بـالعودين تـذكى وإن الحـرب مبـدؤها كـلام
فـإن لم يطفهـا عقـلاءُ قـوم يكـون وقودَهـا جثـثٌ وهـامُ
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقـاظ أميـة أو نيـامُ

وقريب منه قول جرير في التحذير من شر قد يجره أحد أفراد القبيلة على قومه، حيث قال محذراً بني حنيفة، ومهدداً لهم:

أبني حنيفة أحكمـوا سـفهاءكم إني أخـاف علـيكم أن أغـضبا
أبنـي حنيفـة إننـي إن أهجكـم أدع اليمامـة لا تـواري أرنبـا

وقوله:

يـا تـيمُ تـيمَ عـديٍّ لا أبـا لكـم لا يلقيـنكم في سـوأة عمـرُ

٧٥- وإذا ذكر صديقاً له بنقضه العهد أنشد :

ألم تـر مـا بينـي وبـين ابـن خالـد من العهد قـد بالـت عليـه الثعالـب[1][2]

---

(١) في الأصل: بني خالد» تحريف . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أن الصلة التي كانت بيننا قُطِعَتْ أواصرُها.

والبيت لأبي الأسود، ويروى:

ألم تـر مـا بينـي وبـين ابـن عـامر .....

وبعده:

وأصـبح بـاقي الـودِّ بينـي وبينـه كأن لم يكن والـدهر فيـه عجائـب

فـما أنـا بالبـاكي عليـه صـبابةً ولا بالـذي مَلَّتْـك منـه المثالـبُ

إذا المـرء لم يحببـك إلا تكرهـاً بَـدَالَكَ مـن أخلاقـه مـا يغالـب

فَدَعْهُ فَـصَرْمُ المـرءِ أهـونُ حـادثٍ وفي الارض للمرء الكريم مواهبُ

وقوله: بالت عليه الثعالب: يضرب مثلاً لقوم يقع بينهم الفساد، وفي معناه خَرِئت بينهم الضبع. **انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/ ١٩١**

وقريب منه قول الفرزدق:

تـصَرَّم منـي ودُّ بكـر بـن وائـل ومـا خِلْـتُ عنـي ودَّهـم يتـصرَّم

قـوارص تـأتيني ويحتقرونهـا وقـد يمـلأ القَطْـرُ الإنـاءَ فـيفعم

وقول مكي بن زيان:

إذا مـا كنـت لا ترعـى حقوقـاً لإخـوان هـمُ رفعـوا منـارَك

وتلـزم كـلَّ حـينٍ أن تُراعـى ولا ينـسى أخـو ودٍّ مـزارَك

وتقطـع دهرنـا تيهـاً وعُجبـاً وتـأبى دائـماً إلا اختيـارَك

فـزادك ـمـا بقيـت ـ الله بعـداً ولا أدنـى عـلى حـالٍ مـزارَك

٧٦- وإذا هدَّده عدو أو توعده أنشد :

فـــإن قناتنـــا يـــا عمـــرو أعيـــت عـــلى الأعـــداء قبلـــك أن تلينـــا[1][2]

---

(١) لعمرو بن كلثوم في معلقته . وعمرو في هذا البيت هو عمرو بن هند، والعرب تستعير للعز اسم القناة . (هـ)

(٢) البيت من الوافر، ونحوه:

ولا نلـــين لـــسلطان يكايـــدنا حتى يلين لضرس الماضغِ الحجـرُ

وقريب منه قول جرير:

زعم الفـرزدق أن سـيقتل مربعـاً أبـشر بطـول سـلامة يـا مربـعُ

وهذا قريب مما جاء في المضرب رقم ١١٢

٧٧- وإذا شُكِيَ أَخٌ له جَنَى عليه أنشد :

بـــل جناهـــا أخ عـــليّ كـــريم وعـــلى أهلهـــا بـــراقش تجنـــي[١][٢]

---

(١) لحمزة بن بيض في اللسان (برقش).

وبراقش: اسم كلبة نبحت على جيش مروا ولم يشعروا بالحي الذي فيهم الكلبة، فلما سمعوا نباحها علموا أن أهلها هناك، فعطفوا عليهم، فاستباحوهم، فقيل في المثل: «على أهلها تجني براقش»، وقبل هذا البيت:

لم تكـــن عـــن جنايـــة لحقتنـــي لا يـــساري ولا يمينـــي حنتنـــي

(هـ)

(٢) البيت من الخفيف، وقريب منه قول العباس بن رِيْطة الرَّملي:

وأهلكنـــي أن لا يـــزال يكيـــدني أخـــو ثقـــةٍ في القـــوم جـــرأت ثـــائرُ
وذلك مـا جَـرَّت علينـا رماحنـا وكـــلُّ امـــرئٍ يومـــاً بـــه الجَـــدُّ عـــاثر

وقول أحدهم:

وتَطْـرُف الكـفُّ عـينَ صـاحبها فـــلا يـــرى قطعهـــا مـــن الرُّشْـــدِ

وقول الأول:

قـــومي هـــمُ قتلـــوا أمـــيمَ أخـــي فـــإذا رميـــت يـــصيبني ســـهمي
فلـــئن عفـــوت لأعفـــون جلـــلاً ولـــئن قتلـــت لأوهـــنن عظمـــي

وقول الآخر:

فلـــو أنهـــا إحـــدى يـــديَّ رُزيتُهـــا ولكنْ يـــدي بانـــت إلى إثرهـــا يـــدي

وقول الجليلة بنت مرة ترثي زوجها كليباً حين قتله أخوها جساس:

فِعْـلُ جـساسٍ عـلى ضـني بـه قـــاطعٌ ظهـــري ومـــدنٍ أجـــلي
لـــو بعـــين فُـــدِيت عينـــي ســـوى أختهـــا وانفقـــأت لم أحفـــل
إننـــي قاتلـــة مقتولـــة فلعـــل الله أن يرتـــاح لي

=

= إلى أن قالت:

درك الثـــــائر شـــــافيه وفي دَرَكـــي ثـــأريَ ثَكْـــلُ المُثْكـــل

ليتـــه كـــان دمـــي فـــاحتلبوا دِرراً منـــه دمـــي مـــن أكحـــلي

إلى آخر ما قالته في تلك القصيدة التي تعد من أعظم ما قيل في باب الرثاء.

قال ابن رشيق القيرواني: «فانظر إلى قول الجليلة بنت مُرَّة ترثي زوجها كُليباً، حين قتله أخوها جساس!

ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه، وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران».

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ٢/ ١٥٣

٧٨- وإذا رأى ذا بشاشة وظاهره يبدي خلافه أنشد :

يبـــدي البـــشاشة حـــين تبـــصره ولـــه إليـــك عقـــاربٌ تـــسري[1]

---

(١) البيت من الكامل، والمعنى: أن هذا الإنسان ذو ملق ورياء، فهو يبدي البشاشة، ويخفي العداوة.

وقريب منه قول المثقّب العبدي:

إن شر النـــاس مـــن يكـــشر لي حـــين يلقـــاني وإن غبـــت شـــتم

ومنه قول المتنبي:

يخفي العـداوةَ وهـي غـيرُ خفيـةٍ نظـــر العـــدوِّ بـــما أسر يبـــوح

وقول الآخر:

ليس الصديق الذي يعطيك شاهدُه شَـهْدَ الـودادِ وخـان الغيـبَ غائبُـه

وقول الشاعر:

ويضحك في وجهي إذا ما لقيتـه ويهمـــزني بالغيـــب سراً ويلـــسع

وقول الآخر:

ولـيس أخـي مـن ودني بلـسانه ولكن أخـي مـن ودَّني في النوائـب

وقول بشار:

أنـت في معـشر إذا غبـت عـنهم بـــدَّلوا كـــلَّ مـــا يزينـــك شـــينا
وإذا مـــا رأوك قـــالوا جميعـــاً أنـــت مـــن أكـــرم البرايـــا علينـــا

وقول أبي ذؤيب:

يُـرى ناصـحاً فـيما بـدا فـإذا خـلا فذلك سِـكين عـلى الحلـق حـاذق

وقول جميل:

ومـن هـو ذو لـونين لـيس بـدائم عـلى العهـد خـوانٌ لكـل أمـين

=

= وقول الآخر:

ومن هـو عنـد العـين أمـا لقـاؤه فحلـــوٌ وأمـــا غيبـــه فظنـــون

وقول أبي تمام:

ليس الصديق بمن يعدك ظـاهراً متبـــسماً عـــن بـــاطنٍ مـــتجهم

وقوله:

وليست رِغْوتي عـن فَـوْقِ مَـذْقٍ ولا حجـــري كَمِـــينٌ في الرمـــاد

قوله: المذق: اللبن الممزوج بالماء، وكمين: كامن مُختفٍ، عبارة عن إخلاصه وصدقه في الود.

وعكس المعنى السابق -وهو إظهار البشاشة، وإخفاء العداوة- إسرار المودة والوفاء، وإظهار العداوة والغدر.

ومما يذكر في ذلك أن آخر خلفاء بن أمية مروانَ بنَ محمد كان يحب ويجل كاتبه عبدالحميد الكاتب، ولما أيقن مروان من زوال ملكه، وغلبة العباسيين قال لعبدالحميد: «قد احتجت أن تكون مع عدوي، وتظهر الغدر بي؛ فإن إعجابهم بأدبك، وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك؛ فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي.

فقال عبدالحميد: إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك، أو أقتل معك، وقال:

أسرُّ وفـــاءً ثـــم أَظهـــر غـــدرةً فمن لي بعذر يوسع النـاس ظـاهرُه

فَعُدَّ ذلك من جملة مناقب عبدالحميد. **انظر عيون الأخبار ١/ ٢٧**

٧٩- وإذا أساء إليه صديق، وحلم هو عنه أنشد :

فــلا توبــسوا بينــي وبيــنكم الثــرى فــإن الــذي بينــي وبيــنكم مُثْــري[١][٢]

(١) لجرير في ديوانه ٢٧٧ والمقاييس (ثروى) واللسان (ثرا) .
قال أبو عبيدة : «من أمثالهم في تخوف الرجل هجر صاحبه: لا توبس الثرى بيني وبينك».
ويقال : الذي بيني وبين فلان مثرٍ، أي إنه لم ينقطع . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول الآخر:

إذا رأيت صـدوداً مـن أخـي ثقـةٍ ضــاقت عــلي برحــب الأرض
فإن صددت بـوجهي كـي أكافئـه فالعين غضبى وقلبي غير غـضبانِ

٨٠- وإذا ذكر رجلٌ ببعد الغور أنشد :

ولم يخـــشوا مـــصالته علـــيهم وتحـت الرغـوةِ اللـبنُ الـصريحُ[1][2]

---

(١) من أبيات في مجالس ثعلب ٨ ـ ٩ بنسبتها إلى رجل من سليم.
ونسب في البيان ٣ : ٣٣٨ إلى أبي محجن الثقفي، وليس في ديوانه.
ونسب في اللسان (فصح) إلى نضلة السلمي.
المصالة: مصدر ميمي من صال يصول.
والرغوة: مثلثة الراء.
والصريح: الخالص: أي إنما تعرف الأشياء بالتكشيف عن بواطنها.
وأنشده في المقاييس (فصح): «اللبن الصحيح» وهو الذي أُخِذت عنه الرغوة.(هـ)
(٢) البيت من الوافر، ومنه قول الأول:

من النفـر المـدلين في كـل حجـة لمستحصدٍ مِنْ حولـه الـرأي محكـمِ

يقال رجل مُحْصد الرأي: أي سديد الرأي محكمه.
وقول آخر:

بـصير بأعقـاب الأمـور كـأنما تخاطبـــه في كـــل أمـــرٍ عواقبُـــه

وقول ابن أبي طاهر:

إذا الرجال طغت آراؤهم وعموا بـــالأمر رُدَّ إليـــه الـــرأي والنظـــر

وقول آخر:

وإذا صـــحت الرويَّـــةُ يومـــاً فـــسواءٌ ظـــنُّ امـــرئٍ وعيانُـــه

٨١- وإذا عزى إنساناً وواساه أنشد :

لكـــلِّ هـــمٍّ مـــن الهمـــوم ســـعه والـمَـسْيُ والـصبحُ لا بقـاء معـه[1][2]

(١) للأضبط بن قريع، وهو أحد المعمرين من العرب، كتاب المعمرين للسجستاني٨ ومجالس ثعلب ٤٨، والأمالي ١: ١٠٧ والأغاني١٦: ١٥٤ وحماسة ابن الشجري١٣٧ والخزانة ٤ : ٥٨٩ والمثل السائر ١ : ٢٦٠ . (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، والمعنى: أن لكل ما يصيب الإنسان من الهموم متسعاً، غير أن كرور الأيام لا تدوم معه الحياة.

ومنه قول لبيد:

لـــو أن حيّـــاً مـــدرك الفـــلاح أدركـــه ملاعـــب الرمـــاح

ويعني بالفلاح: البقاء، وبملاعب الرماح: عامر بن الطّفيل.

وقول أبي الطيب:

نحـــن بنـــو المـــوتى فـــما بالنـــا نعـــاف مـــا لا بـــد مـــن شربـــه

يمـوت راعـي الـضأن في جهلـه موتـــة جـــالينوس في طبـــه

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيـــة أنـــشبت أظفارهـــا ألفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع

وقول كعب بن زهير:

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامته يومـــاً عـــلى آلـــة حـــدباء محمـــول

وقول الآخر:

إني أعزيـــك لا أني عـــلى ثقـــة مـــن الخلـــود ولكـــن ســـنةُ الـــدين

فـــما المُعـــزِّي ببـــاقٍ بعـــد تعزيـــة ولا الـــمُعزَّى ولـــو عاشـــا إلى حـــين

٨٢- وإذا كاتم إنساناً، وأضمر له ما يعرفه من التلون أنشد :

فـــــإن الله لا يخفـــــى عليـــــه علانيـــــــــة تـــــــــراد ولا سرار[1]

---

(١) البيت من الوافر، ونحوه قول زهير:

فـلا تكـتمن الله مـا في نفوسـكم ليخفـى ومهـما يُكْـتَمِ الله يعلـمِ

وقول الآخر:

فـلا تحـسبن الله يَغْفُـل سـاعة ولا أن مـا تخفـي عليـه يغيـب

٨٣- وإذا رأى إنساناً تغيرت عن غِنىً حالُه[١] أنشد :

إن الفتـــى يُقْـــتِرُ بعـــد الغنـــى ويغتنـــي مـــن بعـــد مـــا يفتقـــر[٢][٣]

---

(١) في الأصل: «تغيرت عنى حاله». (هـ)

(٢) البيت لعمرو بن أحمر، من أبيات له في اللسان (رنا) وطبقات ابن سلام ١٩١. أقتر : قل ماله . (هـ)

(٣) البيت من البحر السريع، وقريب منه قول القائل:

مـا بـين طرفـة عـين وانتباهتهـا يغـير الله مـن حـال إلى حـال

وقول الحسين بن مطير:

فكـم قـد رأينـا مـن تكـدُّرِ عِيْـشَةٍ وأخرى صفا بعد اكـدرارٍ غـديرُها

وقول حُرقةَ بنتِ النعمان:

فبينا نـسوس النـاس والأمـرُ أمرُنـا إذا نحـن فـيهم سُـوقةٌ نَتَنَـصَّفُ

فـأفٍّ لـدنيا لا يـدوم نعيمُهـا تُقَلِّـبُ حـالاتٍ بنـا وتُـصَرِّف

وقال الأضبط بن قريع:

لا تحقـرن الفقـير علَّـك أن تركـع يومـاً والـدهر قـد رفعـه

٨٤- وإذا قيل له مضى فلان وورث وارثه ماله أنشد :

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه[١][٢]

(١) للأضبط بن قريع، انظر الحاشية الأولى . (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، والمعنى: أن الإنسان قد يجمع مالاً، ويكون من نصيب غيره من الورثة الذي يتمتعون به دون تعب في جمعه.

وقريب منه قول الأول:

المرء يشقى بما يسعى لوارثه والبرُّ وارثُ ما يسعى له الرجل

وقول الآخر:

كم كادح لغيره لا يأتلي وقادح ناراً سواه المصطلي

٨٥- وإذا رأى رجلاً أثنى على آخر، وهو لا يعرفه أنشد :

لا تحمدن امرأ حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب[١][٢]

---

(١) لأبي الأسود الدؤلي، حماسة البحتري ٣٧٠ . (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وبعده:

إن الرجالَ صناديقٌ مُقَفَّلَةٌ وما مفاتيحها غير التجاريبِ

وقريب منه قول أوس بن حجر:

لا تظهرنْ ذمَّ امرئٍ قبل خُبره وبعد بلاءِ المرء فاذمم أو احمدِ

وقول مسكين الدارمي:

ولا تَحْمَدِ المرءَ قبل البلاء ولا يسبق السيل منك المطر

وإني لأعرف سيما الرجال كما يعرف القائفون الأثر

وقول الآخر:

لا تحمدن على الإخاء مؤاخياً حتى تَبَيَّن قَدْرَ غور إخائه

فتذمَّ أو تختصه مِنْ بَعْدِ ما تبلو سريرته وصدق وفائه

وقول بشار:

ولولا الذي خبروا لم أكن لأقْدَحَ ريحانةً قَبْلَ شَمْ

٨٦- وإذا نعي له رجل عظيم الشأن أنشد :

لمـــا أتـــى خَـــبَرُ الـــزبيرِ تواضـــعت ســـور المدينـــة والجبـــال الخُـــشَّع[1][2]

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ٣٤٥ والخزانة ٢ : ١٦٦ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ورهطه بني مجاشع الذين منهم عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام.

وكان ابن جرموز قد قدم على أمير المؤمنين علي، وهنَّأه بالفتح، وأخبره بقتله الزبير، فقال له علي: أبشر بالنار، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **"بشر قاتل ابن صفية بالنار"**.

وفي ذلك يقول ابن جرموز :

أتيـــت عليـــاً بـــرأس الـــزبير وقـــد كنـــت أحـــسبها زلفـــه

فبـــشر بالنـــار في قتلـــه فبـــئس بـــشارة ذي التحفـــه

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير وكان والياً على العراق من قبل أخيه عبدالله فقال: اقتلني بالزبير ! فكتب في ذلك إلى أخيه، فكتب إليه عبد الله: أنا لا أقتله بالزبير ولا بشسع نعله، فلم يقتله.

والنحويون يجعلون هذا البيت شاهداً لاكتساب بعض الأسماء التأنيث من بعض؛ لأن السور هنا بعض المدينة.

وذهب أبو عبيدة أن (السور) جمع سورة بالضم، وهي كل ما علا، فلا شاهد في البيت.

الخشع: أي التي صارت خاشعة لاطئة بالأرض لموته . (هـ)

(٢) البيت من الكامل، وقريب منه قول المهلهل في رثاء أخيه كليب:

فتـصدَّعت صـمُّ الجبـال لموتـه وبكـــت عليـــه المـــرملات مَلِيَّـــا

وقول أبي تمام:

وكل كسوفٍ في الدراريِّ شـنعةٌ ولكنـه في الـشمس والبـدر أشـنع

٨٧- وإذا جهل عليه جاهل وللجاهل عدو حاضر لا يجترئ عليه أنشد:

جهـلاً علينـا وجبنـاً عـن عـدوكم لبئـست الخلتـانِ الجهـلُ والجُـبن[1][2]

---

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب، في حماسة أبي تمام ٢: ١٨٨ والبحتري٣٩٢ .(هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول عمران بن حطان:

أسـدٌ عـلي وفي الحـروب نعامـة ربـداء تجفـل مـن صـفير الـصافر

وقول آخر:

تـــذللاً للعـــدو عـــن ضَـــعةٍ وصـــولة بالـــصديق عـــن نَغَـــل

الضَّعة: الذلة والخسة والهوان، والنَّغَل: الحقد والضغينة.

وقول آخر:

ومـــن الـــبلاء أخٌ خيانتُـــه عَلَـــقٌ بنـــا ولغيرِنـــا نَـــشبُهْ

وقول الشاعر:

أراك مـع الأعـداء في كـل مـوطن وقلبـك مـن ضِـغْنٍ عـليَّ مـريضُ

ومـــا بي مـــن فقـــرٍ إلى أن تحبنـــي ومـــا ضرني أني إليـــك بغـــيض

وقول آخر:

عفاريتـــاً عَـــليَّ وأَكْـــل مـــالي وعجـــزاً عـــن أنـــاس آخرينـــا

فهـــلا غـــير عمكـــم ظلمـــتم إذا مـــا كنـــتم متظلِّمينـــا

٨٨- وإذا مات له خليلٌ يعز عليه فَقْدُهُ أنشد :

ألا لِيَمُـتْ مَـنْ شـاء بعـدك إنـما عليـك مـن الأقـدار كـان حـذاريا[1][2]

---

(١) في الأصل: (حذاري)، صوابه في اللسان (ملا) ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٩ . وقبله، وهو في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني:

وقد كنت أرجو أن أَمُـلاَّكَ حِقْبَـةً فحـال قـضاءُ الله دون رجائيـا

وانظر العقد ٢ : ٢٧٨ طبع لجنة التأليف . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: أنني كنت أخشى أن تموت، فيصيبني ما يصيبني من الهم؛ جَرَّاء فقدك، فلما مُتَّ هانت علي كلُّ مصيبة بعدك.

وقريب منه قول أعرابية:

مـن شـاء بعـدك فليمـت فعليـك كنـت أحـاذرُ

كُنْـتَ الـسوادَ لنـاظري وعليـك يبكـي النـاظرُ

وقول أبي نُواس:

طـوى البـينُ مـا بيني وبـين محمـد ولـيس لمـا تطـوي المنيـةُ نـاشرُ

وكنتُ عليـه أحـذرُ المـوتَ وحـده فلـم يبـق لي شيءٌ عليـه أحـاذرُ

وأنشد عبدالملك بن مروان:

إذا مـا مـات خارجـة بـن حـصن فـلا مطـرت عـلى الأرض الـسماءُ

ولا رجـع الوفـود بِغُـنْم عـيشٍ ولا حملـت عـلى الطُّهـرِ النـساءُ

لَيَـوْمٌ منـك خـيرٌ مـن أنـاسٍ كثـيرٍ حـولهم نَعَـمٌ وشـاءُ

وقول النابغة الذبياني:

فـإن يَهْلَـكْ أبـو قـابوس يهلـك ربيـع النـاس والبلـدُ الحـرام

وَنَقْعُـدْ بعـده بـذناب عـيش أجـبِّ الظهـرِ لـيس لـه سـنامُ

وقريب منه ما في المضرب رقم ٦٤ .

٨٩- وإذا قيل له: استتر لك فلان، وخدعك أنشد :

وقد كنت مجرور اللسان ومفحماً فأصبحت أدري اليوم كيف أقول[١][٢]

---

(١) البيت للفقيمي، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق. البيان٣: ٢١٤،٣٢٦ ومحاضرات الراغب٢: ٧٤ .

وفي الأصل: (محزوز) صوابه في البيان. وفي المحاضرات: (محرور) محرفة أيضاً .

وأصل المجرور يشق لسانه لئلا يرضع، يقال جَرَّ الفصيل، وأَجَرَّه.

قال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أَجَرَّتِ

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقبله بيت يقول فيه:

وما كنت نوَّاماً ولكن ثائراً أناخ قليلاً فوق ظهر سبيل

وقوله: فأصبحت أدري اليوم كيف أقول: أي أصبحت لا أدري على حذف (لا) كما قال امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصال

أي: لا أبرح.

ومن الأبيات في ذلك المعنى قول مالك بن الريب:

خذاني فجُرَّاني ببردي إليكما فقد كان قبل اليوم صعباً قيادياً

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٧٢

٩٠- وإذا ذكر إخوانه الذين سلفوا أنشد :

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم وما الكف إلا إصبعٌ ثم إصبعُ[1][2]

---

(١) البيت لأبي حناك البراء بن ربعى الفقعسي، في الحماسة ١ : ٣٥١ والمضنون به على غير أهله لعز الدين الزنجاني ٣٤٤ طبع ١٣٣١ . وقبله :

أبعد بني أمي الذين تتابعوا أُرَجِّي الحياة أم من الموت أجزع
ثمانية كانوا ذؤابة قومهم بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول العباس بن عبدالمطلب ﷺ :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي أنت تعلم

وقول الصِّمَّة بن عبدالله القشيري:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من حَرِّه أن تَقَطَّعا

وقول الشريف المرتضي:

وكيف صفاءُ العيشِ للمرء بعدما تغيَّب عنه رهطُه وأصادقُه

وقول ابن الرومي -ويكاد يكون أولَ مَنْ عللَ حُبَّ الأوطانِ، والحنين إلى الماضي-:

وحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ مآربُ قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهمُ عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غمَّ يعدل فراقهم، والغريب من فقد إلفه لا من فقد منزله، وأنشد:

وا حسرةً للفتى ساعة يعيشها بعد أودَّائه
عمرُ الفتى لو كان في كفه رمى به بعد أحبائه

٩١- وإذا نجب ابن امرئ بعد موته أنشد :

لعمرك ما وارى الترابُ فِعَالَه ولكنه وارى ثياباً وأعظما[١][٢]

---

(١) أنشده أبو تمام في الحماسة ١ : ٣٨٣ ولم ينسبه . وقبله :

إذا ما امرؤ أثنى بآلاء ميت فلا يَبْعَدِ الله الوليد بن أدهما

فما كان مفراحاً إذا الخير مسه ولا كان منانّاً إذا هو أنعما

ونادى المنادي أول الليل باسمه إذا أجحر الليل البخيل المذمما

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول الشاعر:

المرء يورث جوده أبناءه ويموت آخر وهو في الأحياء

وقول ابن الرومي:

كم من أب قد علا بابن ذُرى شرفٍ كما علا برسول الله عدنان

قال الثعالبي عن هذا البيت: «أحسن ما قيل في ارتفاع الأب بابنه».

أحسن ما سمعت ص٢٩

وقريب منه ما في المضربين ٩ و ١١٩ .

٩٢- وإذا رأى رجلاً يتكلف ما لا يستطيعه أنشد :

إذا لم تستطع شيئا فدعه [١] [٢]

---

(١) لعمرو بن معديكرب في الحيوان ٣ : ١٣٨، وحماسة البحتري ٣٧٥، والأغاني ١٤: ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ . وعجزه :

وجاوزه إلى ما تستطيع (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول يحيى بن زياد:

وإذا تـوعَّر بَعْـضُ مـا تـسعى لـه ... فاركب من الأمر الذي هـو أسـهل

وقال:

إذا كَـدُرت عليـك أمـورُ وردٍ ... فَجُـزْه إلى مـوارد صـافيات

وقال زياد بن منقذ:

إذا سُدَّ باب عنك مـن دون حاجـة ... فَـدَعْها لأخـرى لَـيِّن لـك بابهـا

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٧٠ .

٩٣- وإذا استحقره قوم، وتعرضوا لأكبر منه أنشد :

ذباب طار في لهوات ليث (١)

---

(١) البيت من الوافر، وهو للفرزدق، وعجزه:

كذاك الليث يلتهم الذبابا

وقريب منه حال الشافعي رحمه الله لما خرج إلى مصر قُطع عليه الطريق، فدخل بعض المساجد، وليس عليه إلا حزمة؛ فدخل الناس، ولم يلتفت إليه أحد، فَعَزَّت عليه نفسه؛ فقال:

عـلي ثيـاب لـو تبـاع جميعهـا ... بِفَلْسٍ لكـان الفَلْسُ مـنهن أكثـرا

وفـيهن نفـس لـو يقـاس ببعـضها ... نفوس الورى كانـت أجـل وأكـبرا

ونحوه قول الأول:

إذا تلاقـى الفيـول وازدحمـت ... فـما مقـام البعـوض في الوسـط

٩٤- وإذا تجاهل عليه متجاهل أنشد :

إنـــا لتـــوزن بالجبـــال حلومنـــا ويزيـــد جاهلنـــا عـــلى الجهـــال[1][2]

---

(١) لحسان بن حنظلة بن أبي رهم الطائي في الحماسة ٢ : ٣١٧ ومجموعة المعاني ٤٥ وهو في ديوان الفرزدق ٧٣٠ ونسب في الخزانة ٣ : ١٠٧ والنقائض ٢٨٤ إلى الفرزدق ـأيضاًـ.
وفي المؤتلف للآمدي ١٢٤ أنه للراهب الطائي، وهو حنظلة والد حسان المتقدم ، وأن الفرزدق قد سرقه وأدخله في قصيدته . (هـ)

(٢) البيت من الكامل، وقريب منه قول الفرزدق:

أحلامنـــا تـــزن الجبـــال رزانـــة وَتَخَالُنـــا جِنّـــاً إذا مـــا نجهـــل

وقوله:

وما حلَّ من جهل حِبى حلمائنا ولا قائـل المعـروف فينـا يعنَّـفُ

وقول مروان بن أبي حفصة:

ثـــلاث بأمثـــال الجبـــال حبـــالهم وأحلامهم منها لـدى الـوزن أثقـل

وقول بشار:

قل ما بدا لك من زور ومـن كـذب حلمـي أصـمُّ وأذْني غـير صـماءِ

وقول شاعرٍ قديم يمدح رجلاً بالكرم، والاحتفاظ بكرامة جلسائه، وتوقير مجلسهم:

فتىً مثل ضوء الماء لـيس بباخـلٍ بخـيرٍ ولا مهـدٍ ملامـاً لباخـلِ
ولا قائلٍ عـوراءَ تـؤذي جليـسَه ولا رافـع رأسـاً بعـوراءِ قائـلِ

٩٥- وإذا نعي له رئيس من رؤساء أو عشيرته أنشد :

إذا شذ منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول[1]

وأنشد أيضاً :

إذا قَمَرٌ منا تَغَوَّرَ أو خبا بدا قمرٌ من جانب الأفق يلمع[2][3]

---

(١) للسموأل بن عاديا، من أبيات في الحماسة ١ : ٢٧ - ٣١، والحيوان ٦ : ٤٢٣، والبيان ٤ : ٦٨، والقالي ١ : ٢٦٩ .

والرواية في الحماسة والقالي : (إذا سيد منا خلا قام سيد) . (هـ)

(٢) البيت لأبي يعقوب الخريمي في الحيوان ٣ : ٩٤ والوساطة ١٥٩ . (هـ)

(٣) البيتان من البحر الطويل، ومعنى البيتين يدور على أنهم قوم يخلف بعضهم بعضاً في الرياسة، والسيادة، وليسوا كمن هم فوضى لا سراة لهم، كما قال الأول:

ولما أن أتيت بني جوين جلوساً ليس بينهم جليس
يئست من التي قد جئت أبغي لديهم إنني رجل يؤوس
إذا ما قلت أيُّهم لأيٍّ تشابهت المناكب والرؤوس

يعني أنهم لا رئيس لهم، ولهذا يقال: لا يزال الناس بخير ما تباينوا؛ فإذا تساووا هلكوا، كما قال أحدهم في ذم قوم:

سواء كأسنان الحمار ولا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

وقريب من الشاهد قول الشاعر:

إذا مُقْرِمٌ منا ذرا حدّ نابِه تَخَمَّط فينا نابُ آخرَ مُقْرِمِ

المقرم: السيد الرئيس من الرجال.

وقد استشهد بهذا البيت ليثُ الوغى مسلمةُ بنُ عبدالملك عندما دُلِّي بعضُهم في قبره، فتمثل بَعْضُ من حضر فقال:

فما كان قيسٌ هلكُه هلكُ واحد ولكنه بنيانُ قومٍ تهدما

فقال له مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان، هلا قلت:

إذا مُقْرِمٌ منا ذرا حدّ نابه تخمط فينا ناب آخر مقرمِ

٩٦- وإذا مطل إنسان ووعد بعد أنشد :

فـإن يـك صـدر هـذا اليـوم ولَّى فـإن غـداً لنـاظره قريـب[1][2]

---

(١) في الأصل: (الناظرين) تحريف.

والبيت لقراد بن أجدع، كما في أمثال الميداني ١ :٦٣. لناظره: أي: لمنتظره . (هـ)

(٢) البيت ينسب لهدبة بن الخشرم، وهو من الوافر، وقريب منه قول السابوري:

إن الكـريم يمنـع المطـالا في وعـده وينجـز النـوالا

وقول البحتري:

واعلم بـأن الغيـثَ لـيس بنـافع للنـاس مـالم يـأتِ في إبَّانـه

وقول ابن عسكر الموصلي:

جود الكريم إذا مـا كـان عـن عِـدِةٍ وقـد تـأخر لم يـسلم مـن الكـدر

إن الـسحائب لا تُجـدي بوارقهـا نفعـاً إذا هـي لم تمطـر عـلى الأثـر

وماطل الوعدِ مذموم وإن سـمحت يـداه مـن بعـد طـول المطـل بالبِـدَر

قوله: بالبدَر: جمع بَدْرة، وهي الجائزة التي مقدارها عشرة آلاف درهم؛ سميت بذلك لوفورها، وتمامها، قال بعضهم: وسمي القمر ليلة أربع عشرة بدراً؛ لتمامه.

وقيل: بل البَدْرة: جلدة السخلة إذا فطمت، والجذع من المعز يُملأ مالاً؛ فسمي المال بدرةً باسم الوعاء مجازاً. **انظر العمدة لابن رشيق ٢/ ٢١٦**

وقريب من هذا المضرب ما في المضارب ١٥ و ٩٨ و ١٠٦

٩٧- وإذا رأى قوماً ذوي صور ولا أحلام لهم أنشد :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير[1][2]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بني الحارث بن كعب.
وانظر الحيوان ٥: ٢٢٩ والخزانة ٤: ٣ـ٥٦ وسيبويه ١: ٢٥٤ .
الأحلام : العقول.(هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول ابن الرومي:

طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مصلوب

وقوله:

جمالُ أخي النُّهى كَرَمٌ وَخِيْرٌ وليس جمالَه عرضٌ وطولُ

وقول القائل:

وهل ينفع الفتيان حسنُ إذا كانت الأخلاق غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على فما كل مصقول الحديد يماني

وقول عمرو بن معديكرب:

ليس الجمال بمئزر فاعلم إذا رديت بردا
إن الجمال معادنٌ ومناقبٌ أَوْرَثْنَ مجدا

وقول أبي الطيب:

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقول الآخر:

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حُسْنَ الجسوم عقولُ

وقول القاسم الواسطي:

لا خير في أوجه صِباح تسفر عن أنفس قباح

وقول آخر:

وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسنَ البيانُ

=

= وقول المعري:

إذا كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غمده والحمائل

وقول آخر:

وما السيف إلا بزُّ غادٍ يزينه ... إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

وقول آخر:

فما المرءُ إلا الأصغرانِ: لسانه ... ومعقوله والجسم خلقٌ مصور

وقول آخر:

وما الزين في ثوب تراه وإنما ... يزين الفتى مخبوره حين يُخْبِرُ

وقول آخر:

فإن طُرَّة راقتك منه فربما ... أمَرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

وقال آخر حاثاً على أن يتوافق حسن المعنى مع حسن المبنى:

ويا جميل الوجه كن محسناً ... لا تخلطن الشين بالزين

٩٨- وإذا اقتضى صديقاً وعداً أنشد :

قـضى كـل ذي ديـن فَـوفَّى غريمـه وعـزةُ ممطـولٌ معنـىً غريمُهـا[1][2]

(١) البيت لكثير عزة في حماسة ابن الشجري ١٥٤، والأغاني ٨: ٣٥ـ٣٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٢٩ . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: واضح وهو أن أصحاب الديون استوفوا ديونهم، ووفَّاهم إياها غرماؤهم، عدا عزة؛ فإن غريمها مُتْعَبٌ مؤخر عنه الوفاء.

وقريب منه قول أبي تمام:

وخـيرُ عِـداتِ المـرء مختـصراتها كـما أن خـيراتِ الليـالي قـصارُها

ومعنى عدات: جمع عِدَة، وهي الوعد.

وقوله:

ولا شك أن الخـير منـك سـجية ولكن خيرَ الخيرِ عنـدي الـمُعَجَّلُ

وقريب من هذا المضرب ما في المضارب ١٥ و ٩٦ و ١٠٦

٩٩- وإذا شيع فريقين وأخذ كل واحد غير طريق الآخر أنشد :

فريقان منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم سالك نجد كبكب[١][٢]

---

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٧٧ ومعجم البلدان ،(رسم كبكب) . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ونحوه قول بشار:

حدا بعضهم ذات اليمين وبعضهم شمالاً وقلبي بينهم متوزع

أشاروا بتسليم فَجُدْنا بأنفس تسيل من الآماق والسِّمُ أدمع

١٠٠- وإذا لم يزره أخوه زاره هو وأنشد :

أزوركـــم لا أكـــافيكم بجفـــوتكم إن المحـــــــب إذا لم يـــــــستزر زارا[1]

(١) البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ٧٣، وخاص الخاص ٩٣، ومحاضرات الراغب ٣٠٥ برواية: (نزوركم لانكافيكم) .

وفي الأصل هنا: (لأكافيكم) ، تحريف . وبعده في الديوان :

ستقرب الدار شـوقاً وهـي نازحـة من عالج الشوق لم يـستبعد الـدار ا

وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥ : (يقرب الشوق دارا) . (هـ)

وأنشد -أيضاً-:

وما كنت زوَّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لابد أَنْ سيزور[1][2]

(١) للأحوص . الكامل ٣٢١ ليبسك. وقبله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور

(هـ)

(٢) البيت الأول من البسيط، والثاني من الطويل، ومعنى البيتين واضح فهما يدوران على أن المحب العاقل لا يكافئ الجافين القاطعين بذلك، وإنما يقابلهم بالصلة، والزيارة؛ فليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ .

وقريب من معنى البيتين قول جحظة البرمكي:

وإذا جفاني صاحب لم أستجز ما عشت قَطْعه

وقول الآخر:

ولما أبيتم أن تزوروا وقُلْتُمُ ضعفنا فلم نقدر على الوَخَذَانِ
أتيناكمُ من بُعْدِ أرضِ نزوركمْ وكم منزلٍ بكرٍ لنا وعَوَانِ

وقول ابن المقري:

والقَ الأحبة والإخوان إن قطعوا حبل الوداد بحبل منك مُتَّصلِ
فَأَعْجَزُ الناسِ حُرٌّ ضاع من يده صديقُ ودٍّ فلم يَرْدُدْهُ بِالحيل
استصف خِلَّك واستخلصه أسهل من تبديلِ خِلٍّ وكيف الأمن بالبدل
واحمل ثلاث خصال من مطالبه احفظه فيها ودع ما شئته وقلِ
ظلمُ الدلالِ وظلمُ الغيظِ فاعفهما وظلمُ هفوته واقسط ولا تَمِلِ

وقال أبو حيان التوحيدي: «وسمعت أبا دُلفٍ الخزرجي يقول: أنا أستجفي الشاعر الذي يقول:

والله لا كنتَ في حسابي إلا إذا كنتُ في حسابك
فإن تزرني أزرْك أو إن تَقِفْ ببابي أقفْ ببابك

=

= وكان يقول: ما هذه الغلظة والفظاظة؟ وما هذه المكايسة والمصادقة؟ أفليس لو قابلك صاحبك بمثل هذا الأمر وقف الأمر بينكما، وانتكث حبل المودة عنكما؟ ودبَّت الشحناء في طيِّ حالكما؟». **كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ص ١٤٢**

١٠١- وإذا وصف رجلاً بالعفة والإعراض عن الزنا[١] أنشد:

والله لــو كانــت الــدنيا وزينتهــا في بطــن راحتــه يومــا لألقاهــا[٢]

---

(١) لعل العبارة الصحيحة التي تناسب الشاهد أن يقال: وإذا وَصَفَ رجلاً بالعفة، والإعراض عن الدنيا أنشد.

(٢) البيت من البسيط، وقريب مما يناسب المضرب قول الكريزي:

وعــفٍّ يُــسمَّى عــاجزاً لعفافــه ولــولا التقــى مــا أعجزتــه مذاهبــه

وقول البحتري:

يضمُّ عن الفحشاء فضلَ ثيابه ويــدنو وأطــرافُ الرمــاح دوانِ

وقول البشير الإبراهيمي:

فيــا أخــاً عرفتُــه عــفَّ النَّظــرْ عفّ الخطى عـف اللـسان والفِكَـرْ

١٠٢- وإذا قيل له: إن أمثالك قليل أنشد:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل[1][2]

---

(١) للسموأل بن عاديا .(هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أن قِلَّتَنا لا تضرنا ما دمنا أعزةً، وجيرانُنا ينعمون بتلك العزة، بينما غيرنا كثير، ولا يمنعون الضيم عن جارهم.

وأنسب منه للمضرب قول السموأل -أيضاً-:

تعيِّرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليل

وقريب من ذلك في معنى الجودة والصحة والكمال قول الشاعر:

وإن الناس جمعهمُ كثير ولكن من يُسَرُّ به قليل

وقول الآخر:

وقد كنا نعدهم قليلاً فقد صاروا أقل من القليل

وقول الآخر:

وما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

١٠٣- وإذا ولي رجل ولاية، وأَثْنَى عليه بها أنشد :

وإذا الـــدر زان حـــسنَ وجـــوهٍ كـان للـدر حـسنُ وجهِـك زينـا[1][2]

---

(١) أنشده الجاحظ في البيان ١ : ١٩٥ والجرجاني في الوساطة ٢٠٢ . وقبله أو بعده:

وتزيـدين أطيـب الطيـب طيبـاً أن تَمَـسِّيه أيـن مثلـك أينـا

وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبدالعزيز: من كانت الخلافة زانته فإنك قد زنتها، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل:

وإذا الـــدر زان حـــسن وجـــوه كـان للـدر حـسن وجهـك زينـا

فقال عمر : أُعطي صاحبكم مقولاً، ولم يعط معقولاً . عيون الأخبار ١ : ٩٣ .(هـ)

(٢) البيت من الخفيف، وقريب منه قول ابن الرومي:

ومـا الحـليُ إلا حيلـة مـن نقيـصة تُتمم من حسنٍ إذا الحُـسْنُ قـصَّرا
وأمـــا إذا كـــان الجـــمال مـــوفراً كَحُـــسْنِكَ لم يَحْـتَجْ إلى أن يـزوَّرا

وقول أبي الطيب المتنبي:

الطيـب أنـت إذا أصـابك طيبـه والماء أنـت إذا اغتـسلت الغاسـلُ

وقول الآخر:

إذا زيَّـنَ الحـسناءَ عِقْـدٌ بجيـدها فَأحْسَنُ منـه زينـةً موضـعُ العِقْـدِ

١٠٤ - وكان يتمثل لمناظره، ويُعَرِّض له أنه لم يبلغ المبلغ بقول الشاعر:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا(١)

---

(١) البيت من البسيط، والمعنى أن المجد لا ينال براحة البال، وإنما ينال بالتعب، والصبر.
وقريب منه قول أبي الطيب:

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشَّهد من إبر النحل

وقول العتابي:

وإن جسيمات الأمور مشوبةٌ بمستودعات في بطون الأساود

وقول لبيد:

ومقام ضيِّقٍ فرَّجْتُه بلساني ومقالي وجدل
لو يقوم الفيل أو فَيَّالُه زل عن مثل مقالي وزحل

١٠٥- وإذا ذكر له رجل مضى فذلت أتباعه وبنو عمه بعد عز أنشد:

فتى كان مولاه يحل بِنَجْوةٍ فحل الموالي بعده بمسيل[1][2]

---

(١) النجوة: المكان المرتفع. والمسيل: موضع السيل. والبيت لعقيل بن علقة في الحماسة ١: ٤١٠. وقبله:

لتغد المنايا حيث شاءت فإنها محللة بعد الفتى ابن عقيل

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أن هذا السيد كان حصناً حصيناً لأتباعه، وأقربائه؛ وكانوا في ذُرا مَجْده بمكانٍ عالٍ؛ فلما مات نزلوا من عليائهم، ولقوا صغاراً بعد شمم، وخمولاً بعد نباهة.

وقريب من هذا الشاهد قول حميد بن ثور:

وكنت لنا جبلاً مَعْقِلاً وعند المقامة برداً جميلا

وقول من قال في رثاء قيس بن عاصم المنقري سيدِ تميم:

وما كان قيس هُلْكُه هُلكُ واحد ولكنه بُنيانُ قوم تهدما

وقول أبي تمام:

كأن بني نبهان يوم وفاته نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

١٠٦- وإذا رأى إنساناً ملسور[١] له مطلاً ودفاعاً أنشد :

لقد جررت لنا حبل الشَّموس فلا يأساً مبيناً نرى منكم ولا طمعا[٢][٣]

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة . (هـ)
ولعل الصواب: ميسوراً له مطل ودفاع.
أي إنسان ذو مال ومطل، ويسوغ لنفسه ذلك المِطال.

(٢) البيت للقيط بن يعمر الإيادي، من قصيدة له هي أول مختارات ابن الشجري، ينذر فيها قومه غزو كسرى إياهم، وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى، فلما رآه مُجْمِعاً على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر، فوقع الكتاب بيد كسرى، فقطع لسان لقيط، وغزا إياداً.
الشَّموس بفتح أوله : النَّفُور من الدواب الذي لا يستقر لِشَغَبِهِ وحِدَّتِه . (هـ)

(٣) البيت من البسيط، ومعناه: أننا كَمَنْ يجر حَبْل الدابة النفور، فنحن لا نيأس من معروف ذلك الرجل، ولا نطمع فيه.
وقريب منه قول بشار يخاطب خالد بن برمك:

أظلَّت علينا منك يوماً سحابةٌ أضاءت لنا برقاً وأبطا رِشاشُها
فلا غيمها يُجلى فييأسُ طامعٌ ولا غيثها يأتي فيروى عِطاشُها

وقول القائل:

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغررك منظره الأنيق
له ظُرف وليس لديه عُرفٌ كبارقة تروق ولا تريق
فما يخشى العدو له وعيداً كما بالوعد لا يثق الصديق

وقول ابن الرومي:

طال المِطال فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو بردُ ياسٍ ينقع
واعلم بأني لا أُسَرُّ بحاجة إلا وفي عمري لها مستنقع

=

= وقريب منه قول بعض المولَّدين:

إذا نِلْتَ العطية بعد مَطلٍ ... فلا كانت وإن كانت جزيلهْ
فسقياً للعطية ثم سقياً ... إذا سهلت وإن كانت قليلهْ

وقول الحماسي:

سئمت من الوقوف على الطريق ... أطالب بالقديم من الحقوق
وأنكد ما سمعت به طليحٌ ... يُعَلَّلُ باللوامع والبروق

الطليح: الذي خلا جوفه من الطعام.

وهذا المضرب قريب مما جاء في المضارب ١٥ و ٩٦ و ٩٨

١٠٧- وإذا رأى رجلاً هَمُّهُ نَفْسُه لا غيره أنشد :

دَعِ المكـــارمَ لا ترحَـــلْ لبغيتهـــا واقعد فإنك أنـت الطـاعم الكـاسي[١][٢]

---

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ٥٤ من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر.
الطاعم الكاسي: ذو الطعام والكسوة، أو هو المُطْعَمُ المَكْسُوّ كما في قول الله: **(عيشة راضية)** أي مرضية ، انظر اللسان (كسا) . (هـ)

(٢) البيت من البسيط وقريب منه قول حاتم الطائي:

لحـى الله صـعلوكاً منـاه وهمُّـه من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما

وقول الآخر:

إذا مـا الفتـى لم يبـغ إلا لباسـه ومطعمـه فـالخير منـه بعيـد

١٠٨- وإذا لاجَّه [١] إنسان وطاوله أنشد :

إذا مـــا تحـــدثت في مجلـــس تنـاهى حـديثي إلى مـا عَلِمْـتُ[٢][٣]

---

(١) الملاجة : التمادي في الخصومة .
وفي الأصل: (الملاحة) ، تحريف . (هـ)

(٢) البيت ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ، كما في عيون الأخبار ٢ : ١٢٥ . وبعده :

ولم أَعْـــدُ علمـــي إلى غـــيره وكـــان إذا مـــا تنـــاهى قَـــصرتُ

(هـ)

(٣) البيت من بحر المتقارب، والمعنى أنني لا أتحدث إلا بما أعلم، ولا أتكلف ما لا أعلم.
ونحوه قول زيادة بن يزيد:

إذا ما انتهى علمي تناهيـت عنـده أطـال فـأملي أم تنـاهى فَأُقْـصِرا

وقول أعشى ربيعة:

وفـضَّلني في الـشعر واللُّـبِّ أننـي أقول على علـم وأعلـم مـا أَعْنِـي

١٠٩- وإذا رأى امرأً تأمل حاشية زائره وغاشيته [١] أنشد :

وإذا مـــا جهلـــت ودَّ صـــديق ... فـــاعتبر مـــا جهلـــت بـــالغلمان

إن وجـــه الغـــلام يخـــبر عـــما ... في ضـــمير المـــولى مـــن الكـــتمان[٢]

---

(١) غاشية الرجل: من ينتابه من زواره وأصدقائه . (هـ)

(٢) البيتان من الخفيف، وهما لابن أبي عيينة كما في رسائل الجاحظ ص٩٣، ومعناها: أنك إذا أردت أن تعرف مكانك عند صديقك فانظر في استقبال غلمانه لك، ونظرهم إليك، وفرحهم بك، أو العكس من ذلك؛ فإن الغلام يعرف تلك الأحوال من سيده؛ لشدة قربه منه، وسماعه آراءه في الناس.

ونحوهما:

وأول خَـيْرٍ مـن صـديقٍ أفَدْتـه ... رجوعي بتسهيل الـصديق حجـابي

وأعـرف مـا لي عنـده بغلامـه ... وبالبـشر منـه عنـد رجـع جـوابي

وقريب من ذلك قول الآخر:

اعلمـــنْ إن كنـــتَ تعلمـــه ... أن عِـــرض الـــمَلْكِ حاجبـــه

فَبِـــهِ تبـــدو محاســـنه ... وبـــه تبـــدو معايبـــه

ومنه قول ابن هَرمة يمدح رجلاً:

هَـشٌّ إذا نـزل الوفـود ببابـه ... سـهل الجنـاب مـؤَدبُ الخـدام

١١٠- وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قوم غير كرام أنشد :

فَغُضَّ الطرف إنك من نمير فأصلهم ومنبتهم لئيم[1][2]

---

(١) كذا ورد إنشاده، والمعروف بيت جرير في ديوانه ٧٥ :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

(هـ)

(٢) البيت من الوافر، قال أبو هلال العسكري: «قالوا: أهجى بيت قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كتاب ديوان المعاني ١/ ٣٦١

قال ابن رشيق القيرواني رحمه الله: «وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة، وقيل: سماها جرير الدَّمَّاغة». **العمدة ١/ ٥١**

وقال أبو هلال رحمه الله: «أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس، قال: قال عبدالملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه: هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شِعْرٌ ودُّوا أنهم افتدوا منه بأموالهم، وشِعْرٌ لم يَسَرَّهم به حُمْرُ النَّعم؟ فقال أسماء بن خارجة: نحن يا أمير المؤمنين، وقال: وما قيل فيكم؟ قال: قول الحارث بن ظالم:

وما قومي بثعلبة بن سعدٍ ولا بفزارةَ الشُّعْرِ الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين إني لألبس العمامة الضعيفة، فيخيَّل لي أن شَعْرَ قفاي قد بدا منها.

وقول قيس بن الخطيم:

هَمَمْنا بالإقامة ثم سِرْنا مسيرَ حذيفةَ الخيرِ بنِ بدرِ

فما يسرنا أنه بِها أو بِهِ سودَ النَّعَمِ.

فقال هانئ بن قبيصة: أولئك نحن يا أمير المؤمنين، قال: وما قيل فيكم فيكم؟ قال: قول جرير:

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

=

= والله لوددنا أننا افتديناه بأملاكنا، وقول زياد الأعجم:

لعمرك ما رِماحُ بني نمير ببالغة الصدور ولا مَصارِ

فو الله ما يسرنا به حُمْرُ النعم. **كتاب ديوان المعاني ١/ ٣٦١ـ٣٦٢**

وقال أبو هلال ـأيضاًـ: «وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني، قال: مرت امرأة ببني نمير، فتغامزوا إليها فقالت: يا بني نمير لم تعملوا بقول الله ـتعالىـ، ولا بقول الشاعر: يقول الله –تعالىـ: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**) (النور: ٣٠).

ويقول الشاعر جرير:

فغض الطرف إنك من نمير

فخجلوا، وكان النميري إذا قيل له ممن أنت؟ قال: من نمير، فصار يقول من بني عامر ابن صعصعة.

ولو قيل: إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو:

ولو تُرْمَى بلؤم بني كليب نجومُ الليل ما وضحت لساري

ولو يُرمى بلؤمهم نهارٌ لدنَّس لُؤْمُهُمْ وضْحَ النهار

وهذا مثل قول الآخر:

ولو أن عبد القيس ترمي بلؤمها على الليل لم تَبْدُ النجومُ لمن يسري

وقال: أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ديوان المعاني ١/ ٣٦٢ـ٣٦٣

١١١- وإذا سبر حال صديق له فلم يحمده أنشد :

وما كل إخـوان الفتـى طـوع همـه ولا كـــل عـــود نابـــت بِنـــضار[1][2]

---

(١) النضار : شجر الأثل ، وهو أجود الخشب للآنية والأقداح . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: أنه ليس كل صديق يكون لك كما تريد، بل هم يتفاوتون في ذلك كثيراً، وتجد فيهم من يُخْلِفُ ظنك فيه.

وقريب منه قول الأول:

وإخـــوان حـــسبتهم دروعـــاً فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادي

وقول الآخر:

وما كـل مـن صـادقتهم بأصـادقٍ وما كـل مـن صـاحبتهم بـصحاب
وفي الناس من يُحْلِي لك المُرَّ خدعةً وترجـــع مـــن جَنَّاتِـــه بِعَـــذَاب

١١٢- وإذا توعَّده مَنْ لا يصدقُ في وعده أنشد[١]:

فـــانظر إلى كـــف وأسرارهـــا هـل أنـت إن أوعـدتني ضـائري[٢][٣]

(١) لعل الأنسب أن يقال: إذا توعده من لا يصدق في وعيده، أو تهديده؛ لأن المقام مقام عداوة وشنآن، ووعيد وتهديد، فهذه القصيدة قالها الأعشى في هجاء علقمة بن عُلاثة، ومَدْحِ عامر بن الطفيل في المناظرة التي جرت بينهما.

وقد قال الأعشى في البيت الذي قبل هذا البيت مخاطباً علقمة:

أجـــذعاً تُوعِـــدُني ســـادراً لـــستَ عـــلى الأعـــداء بالقـــادر

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧، واللسان (سرر) والمقاييس (سر)، الأسرار: خطوط باطن الراحة، واحدها سر. (هـ)

هكذا قال الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله في معنى الأسرار، وهو صحيح من جهة أن الأسرار هي خطوط باطن الراحة.

لكن لعل المعنى الذي أراده الأعشى أن الأسرار هي: جمع سِرّ، وهو الغيب، فيكون المعنى: انظر إلى الكف، وما انطوت عليك من غيب وأسرار، ثم خبِّرني: هل أنت إن أوعدتني ضائري؟!

وقوله: فانظر إلى كف: كانوا في الجاهلية ينظرون إلى الكف، ويرون فيها دلائل المستقبل.

انظر ديوان الأعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ص ١٤٤-١٤٥

ولا ريب أن ذلك خرافة من خرافات أهل الجاهلية، وهي ما يعرف الآن بقراءة الكف، أو علم الأسارير؛ وهو علم باحث في الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف، و الأقدام، والجباه، بحسب التقاطع، و التباين، والطول، والعرض، والقِصَر، وبحسب ما بينها من الفروج المتسعة، أو المتضايقة ـ على أحوال الإنسان من طول الأعمار، وقصرها، والسعادة، والشقاوة، والغنى، والفقر، وما شابه ذلك.

(٣) البيت من السريع، والمعنى: هل أنت يا علقمةُ قادر على إلحاق الضرر بي حين تهددني؛ لا إخالك كذلك.

=

= ولهذا قال الأعشى بعد هذا البيت:

إني رأيت الحرب إن شمرت ... دارَت بِكَ الحربُ مع الدائرِ
حولي ذوو الأكمال من وائل ... كالليل من بادٍ ومن حاضر

إلى آخر ما قال في هذا المعنى.

ونحوه قول القائل:

فَدعِ الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنين أجنحة الذباب يضير

وقول الآخر:

أبرق وأرْعِد يا يزيدُ فما وعيدك لي بضائرْ

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٧٦ .

١١٣- وإذا نُعِي له شخص أنشد :

عـلى صـخر وأي فتـى كـصخر ليـوم كريهـة وسِـداد[١] ثغـر[٢][٣]

---

(١) السِّداد: بالكسر: ما سُدَّ به، والجمع: أسِدَّة.

وأما السَّداد بالفتح فمعناه الإصابة في المنطق والرمي. **انظر لسان العرب ٣/ ٢٠٧ـ٢٠٨**

(٢) البيت ملفق من بيتين، أحدهما للخنساء في رثاء أخيها صخر، وهو كما في الديوان ٢٣ وحماسة البحتري ٤٢٨ :

عـلى صـخر وأي فتـى كـصخر لِعَـانٍ عائـلٍ غلـقٍ بَـوْتِرِ

والآخر للعرجي في نزهة الألباء ١١٣ واللسان (سدد) :

أضـاعوني وأي فتـى أضـاعوا ليـوم كريهـة وسِـدَاد ثغـر

وقد يقع التلفيق في استشهادات ابن فارس. انظر المقاييس (شنأ ، علق ، فأو). (هـ)

(٣) البيت من الوافر، وقريب منه قول متمم بن نويره في رثاء أخيه مالك:

نعيتَ امرأ لـو كـان لُحْمُـكَ عنـده لآواه مجموعـاً لـه أو مُمَزَّعـاً

١١٤- وإذا رأى رجلاً اتهم بِدِعْوة[١] أنشد :

زنـــيم تـــداعاه الرجـــال زيـــادة كما زيد في عـرض الأديـم الأكـارع[٢][٣]

---

(١) الدِّعوة بكسر الدال: ادعاء الولد غير أبيه، يقال: دَعي بيِّنُ الدِّعوة.

قال ابن الأعرابي: المُدَّعي: المتهم في نسبه، وهو العيّ. **انظر لسان العرب ١٤/ ٣٦١.**

(٢) البيت للخطيم التميمي، جاهلي، ويروى لحسان بن ثابت، كما في اللسان (زنم) والكامل ٥٦٧ ليبسك . ورواه ابن فارس في المقاييس (زنم) بدون نسبة.

والزنيم: المستلحق في القوم وليس منهم.

الأديم: الجلد، وفي الكنايات للجرجاني ١٥ : «ويكنون عن الدعي بأكارع الأديم» . قال الفرزدق :

وأنـــت زنـــيم في كليـــب زيـــادة كما زيد في عرض الأديم الأكـارع

(هـ)

(٣) البيت من الطويل، وقريب منه قول عثمان بن الحويرث:

لـــه أبـــوانِ فهـــو يُـــدعى إلـــيهما وشرَّ العبـــادِ مـــن لـــه أبـــوانِ

وقـــد حَكَّـــما فيـــه لتـــصدق أمُّـــه وكـــان لهـــا علـــم بـــه وبيـــان

فقالت: صراحٌ وهـي تعلـم غـيره ولكنهـــا تهـــذي بغـــير لـــسان

١١٥- وإذا رأى عدواً مخاشناً أنشد :

بنـــي تمـــاضر إني لا أحـــبكما ولا ألـــــومكما ألا تحبـــــاني[1]

---

(١) البيت من البسيط، وقريب منه قول الفضل العباس اللهبي:

مهـلاً بنـي عمنـا مهـلاً موالينـا لا تنبـشوا بيننـا مـا كـان مـدفونا

الله يعلـــم أنـــا لا نُحِـــبُّكُمُ ولا نلـــــومكم ألا تُحبُّونـــا

١١٦- وإذا قعد عن صديق بعذر أنشد :

فلا بأس بالهجر الـذي لـيس عـرقلاً إذا شـجرت عهـد الحبيـب شـواجر[1][2]

---

(١) في الأصل: «بالهجران» ولا يستقيم به الوزن، وباقي الصدر بعدها كذا ورد في الأصل.
ويقال شجر الشيء : صرفه ونحاه . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أنه لا بأس بالهجر الذي يكون لعذر ما دامت القلوب منطويةً على الود، على حد قول القائل:

إن التباعدَ لا يضُرُّ إذا تقاربت القلوب

وقول الآخر:

إن جـرى بيننـا وبينـك هجـر وتنـاءت منـا ومنـك الـديارُ
فالغليـل الـذي عَلِمْـتَ مقـيم والـدموع التـي عهـدتَ غِـزارُ

وقول الآخر:

أحـسنوا في وصـالكم أو فـسيئوا لا عـدمناكم عـلى كـل حـال

١١٧- وربما وصل حديثه عن الزمن الأول بقوله :

إِذِ النـــاسُ نـــاسٌ والزمـــانُ بغـــرة وإذ أمُّ عـــمارٍ صـــديق مـــساعف[١][٢]

---

(١) يفهم من صنيع اللسان (سعف) أنه لأوس بن حجر ، ولم أجده في ديوانه. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، وهو لأوس بن حجر كما في ديوانه ص ٤٦.

وقريب منه قول لبيد:

ذهـب الـذين يعـاش في أكنـافهم وبقيت في خَلْفٍ كجلـد الأجـرب

وقول حسان:

لله در عـــصابة نـــادمتهم يومـــاً بجلَّـــقَ في الزمـــان الأول

وقريب منه قول أبي الطيب:

سـقى الله أيـام الـصبا مـا يـسرها ويفعـــل فعـــل البـــابلي المعتـــق

١١٨- وإذا ذكر رجل بجود وسماحة أنشد :

يومـــان يـــومٌ يفـــيض نائلـــه وخـــيرُ يـــومٍ مـــا يقيـــت غـــدا[1][2]

(١) أقاته : أعطاه قوته، ولعل الكلام : «وخير يوميه».(هـ)

(٢) البيت من المنسرح، وقريب منه قول أحدهم:

متـدقفاً صـقلوا بـه أحـسابهم إن الـسماحة صـيقل الأحـساب

وقول الفرزدق، وقد دخل على يزيد بن المهلب وهو محبوس، فلما رآه مقيَّداً قال له الفرزدق:

أصبح في قيـدك الـسماحةُ والجـو دُ وحمـــلُ الـــدياتِ والحـــسبُ
لا بطِـــرٌ إنْ ترادفـــت نِعـــمٌ وصـــابرٌ في الـــبلاءِ محتـــسبُ

فقال له يزيد: ويحك! أتمدحني وأنا في هذه الحالة؟

فقال الفرزدق: وجدتك رخيصاً فاشتريتك.

فرمى إليه يزيدُ بخاتمٍ كان في أَصْبُعه قيمته ألف دينار، وقال له: ويحك! أمسكه إلى أن يأتيك رأسُ المال. **انظر كتاب نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص١٠١**

وقول الأعشى في المحلق:

ترى الجـود يجـري ظـاهراً فـوق كـــما زان مَـــتْنَ الهنـــدوانيِّ رونـــقُ

هذا البيت من قصيدة مشهورة ، ولها قصه معروفة تكاد تكون من أشهر القصص في الشعر العربي، ألا وهي قصيدة الأعشى التي قالها في المُحلَّق، فرفعته بعد خمول.

قال ابن رشيق القيرواني رحمه الله : «فممن رفعه ما قيل فيه مـن الـشعر بعـد الخمـول المحلـقُ؛ وذلك أن الأعشى قَدِم مكةَ، وتسامع الناس به، وكانت للمحلَّق امرأة عاقلة ـوقيلَ: بـل أُمُّـ فقالت له: إن الأعشى قَدِم، وهو رجل مُفوَّه، مجدود فى الشعر ، ما مدح أحداً إلا رفعـه، ولا هجا أحداً إلا وضعه، وأنت رجل ـكما علمتَـ فقيرٌ خاملٌ الـذِكر ذو بنـات، وعنـدنا لَقحَـةٌ نعيش بها، فلو سبقت الناس إليه، فدعوتَهُ إلى الضيافة، ونحرت له، واحتلتُ لك فيما تشتري =

= به شراباً يتعاطاه ـ لَرَجوت لك حسن العاقبة؛ فسبق إليه المُحَلَّقُ، فأنزله، ونحر له، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً، وأخرجت نِحْياً فيه سمن، وجاءت بَوَطْب لَبَنٍ، فلما أكل الأعشى وأصحابه، وكان في عصابة قيسية قَدَّم إليه الشراب، واشتوى له من كبد الناقة، وأطعمه من أطايبها؛ فلما جرى فيه الشرابُ، وأخذتْ منه الكأسُ سأله عن حاله وعياله، فعرف البؤس في كلامه، وذكر البنات، فقال الأعشى: كُفِيْتَ أَمْرَهن، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرقُ ... وما بيَ من سُقْم وما بيَ معشقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس، فوقف يستمع، وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله، إلى أن سمع:

نفى الذمَّ عن آل المحلق جَفنةٌ ... كجابية الشيخ العراقيِّ تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم ... مع القوم ولْدان من النسل دَردقُ
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرقُ
تُشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلقُ
رضيعي لبانٍ ثدي أم تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عَوضُ لا نتفرَّق
ترى الجود يَجرى ظاهراً فوق وجهه ... كما زان متن الهنداونيِّ رونق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جَرْياً يخطبون بناته؛ لمكان شعر الأعشى، فلم تُمْس منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف». **العمدة لابن رشيق ١/ ٤٨ـ٤٩**

١١٩- وإذا خَبَرَ أن ولد رجل نجب أنشد :

وهــل ينبــت الخطــيَّ إلا وشــيجُه وتغــرس إلا في منابتهــا النخــل[1][2]

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ١١٥. الخطي: الرماح المنسوبة إلى الخط، وهي جزيرة بالبحرين .

والوشيج: القنا الملتف في منبته، الواحدة وشيجة: أي: لا تنبت القناة إلا القناة، ولا تغرس النخلة إلا بحيث نباتها وصلاحها. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول نهشل بن حري:

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآبــاء ســوء يَلْقَهُــم حيــث ســيَّرا

أرى كــلَّ عــودٍ ثابتــاً في أرومــة أبــى نــسبُ الفتيــان أن يتغــيرا

ونحوه قول البحتري:

وأرى النجابــة لا يكــون تمامهــا لنجيــب قــوم لــيس بــابن نجيــب

وقريب من هذا ما في المضربين ٩ و ١١٩

١٢٠- وإذا أسعفه رجل في أمره أنشد:

أنــاة امــرئ يــأتي الأمــور بقــدرة متـى مـا يـرد لم يَعْـيَ بـالأمر مـصدرا[1]

---

(١) البيت من الطويل، ونحوه قول إبراهيم بن العباس:

وربَّ أخ ناديتـــــه لِمُلِمَّـــــةٍ فألفيتـــه منهـــا أجـــلَّ وأعظـــما

وقريب منه قول بشار:

خـير إخوانـك المـشاركُ في المـرْ رِ وأيـن الـشريك في المـرِّ أينـا

الـــذي إن شـــهدتَ سرَّك في الـحـــيِّ وإن غبـــت كـــان أذنـــاً وعينـــا

وقول الشاعر:

أخٌ لي كَذَوبِ الشَّهْد طَعْـمُ إخائِـهِ إذا اشتبهت بيض الليالي وسـودها

كأمنيـــة الملهـــوف بـــذلاً ونـــائلاً وعونـاً عـلى عميـاءِ أمـرٍ يكيـدها

وذوب الشهد: طعم العسل، والعمياء: المشكلة.

وقول أبي هلال العسكري:

وصاحب الصدق حسامٌ منتـضى يـزين في الـسلم ويكفـي في الـوغى

وقوله:

ليس حدُّ الحـسام أكفـى وأغنـى مـــن أخ ذي كفايـــة وغنـــاء

وأخ المـــرء عـــصمة مـــن بـــلاءٍ يعتريـــه وزينـــة في رخـــاء

وقول الآخر:

لـــيس جـــوداً أُعْطيتَـــه بـــسؤال قـــد يهـــز الـــسؤال غـــيرَ الجـــواد

إنـــما الجـــود مـــا أتـــاك ابتـــداءً لم تَـــذُقْ فيـــه ذلـــةَ الـــترداد

١٢١- وإذا مر بدار صديق له أنشد :

ألا حـــي الـــديار بِـــسَعْدَ إني أحـــب لحـــب فاطمـــة الـــديارا[1][2]

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ٢٨٠، ومعجم اللسان (سعد)، وأنشده ابن فارس في مقاييس اللغة: (سعد) مع نسبته . (هـ)

(٢) البيت من الوافر، وقريب منه قول الأحوص:

يـــا دار عاتكـــة التـــي أتعـــزَّل حذر العدا والقلـب فيـكِ موكـل
إني لأمنحـــكِ الـــصدود وإننـــي قـسماً إليـكِ مـع الـصدود لأَمْيَـلُ

وقول الآخر:

أمـــرُّ عـــلى الـــديار ديـــارِ لـــيلى أقبـــل ذا الجـــدار وذا الجـــدارا
ومـا حـبُّ الـديارِ شـغفن قلبـي ولكـنْ حـبُّ مَـنْ سـكن الـديارا

وقريب منه قول الشيخ محمد الخضر حسين لما مرت به السفينة شاطئ المرسى في تونس مقر إقامة صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

قلبـي يحييـك إذ مـرت سـفينتنا تُجـاه واديـك والأمـواج تلـتطم
تحيـة أبـرق الـشوق الـشديدُ بهـا في سلك ودٍّ بأقصى الـروح ينـتظم

١٢٢- وإذا حضر مَجْلِسَ مناظرة، وطلب منه الكلام جثا على ركبتيه وأنشد:

ولا ينجـــي مـــن الغمـــرات إلا براكـــاءُ القتـــال أو الفـــرارُ[1][2]

---

(١) لبشر بن أبي خازم في اللسان ومقاييس اللغة.

(برك) وهو ختام قصيدة له في المفضليات ٢: ١٤٥، والبراكاء: الثبات في الحرب والجد، وأصله من البروك. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: أنه لا نجاة من الشدائد إلا بالثبات في الحرب، أو الفرار منها.

وقريب منه قول سعيد بن مقروم الضبي:

ودَعَـوْا نـزالِ فكنـتُ أولَ نـازلٍ وعـــلام أركبـــه إذا لم أنـــزل

وقول إبراهيم الأصبهاني:

إذا ارتجـل الكـلام بـدا خلـيجٌ بِفيـــه يمـــده بَحْـــرُ الكـــلام
كـــلام بـــل مـــدامٌ بـــل نظـــامٌ مـــن اليـاقوت بـل حـبُّ الغـمام

وقول الآخر:

لك في المحافل منطق يشفي الجوى ويـسوغُ في أُذُنِ الأديـب سـلافُه
فكـــأن لفظَـــك لؤلـــؤٌ مُتنخّـــلٌ وكـــأنما آذاننـــا أصـــدافُه

وقريب منه ما في المضرب رقم ٤٧ .

١٢٣- وإذا ناظره فَتىً أنشد:

كيــف ترجــون ســقاطى بعــدما جَلَّــلَ الــرأسَ مَــشِيْبٌ وصَــلَعْ[1][2]

---

(١) لسويد بن أبي كاهل اليشكرى في المفضليات ٢ : ١٩٨ .

سقاطي: فترتي وسقطي.

ويروى: «لاح في الرأس». (هـ)

(٢) البيت من الرَّمَل، ومعناه: كيف تؤملون أن أَسْقُطَ، وأُخْطِئَ بعدما حَنَّكَتني التجارب، وَوَسَمَتْنِي الأيام بميسمها، وبعد أن علا المشيب والصلع رأسي؟!.

وقريب من معنى المضرب قول جرير:

وابــن اللبــون إذا مــا لُــزَّ في قَــرَنٍ لم يستطع صولة البـزل القنـاعيس

وقول الأعشى:

كنــاطح صــخرة يومــاً ليفلقهــا فلم يَـضِرْها وأوهــى قرنَـهُ الوَعِـل

(ليفلقها) هكذا في بعض نسخ ديوانه، والرواية المشهورة: (ليوهنها).

وقول الآخر:

مــا اســتقامت قنــاة فكــري إلا بَعْــدَ أن عَــوَّج المــشيب قنــاتي

١٢٤- وإذا زاحمه خصماؤه، وكثروا عليه أنشد :

إذا اجتمعوا علي فَخَلِّ عنهم وعن أسد مخالبه دوام

إذا اجتمعوا علي فَخَلِّ عنهم وخربان تصيد حباريات[1][2]

---

(١) في الأصل : «وحريان تصيد حباريان».

الخربان بكسر الخاء: جمع خرب بالتحريك، وهو ذكر الحباري: ضرب من الطير. (هـ)

(٢) البيتان من البحر الوافر، ومعنى البيت الأول: أن هؤلاء الخصوم إذا اجتمعوا فدَعْهُم؛ فإنهم سيلاقون أسداً مخالبه مُخَضَّبةٌ بالدم، فهو ينتظر الانقضاض عليهم.

والبيت الثاني قريب من معنى الأول، وهو للفرزدق، ويروى:

..... وعن بازٍ يصيد حباريات

ولهذا البيت قصة ذكرها المعافى الجريري في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ١/ ٣٧٧-٣٧٩ قال: «حدثنا محمد بن إبراهيم بن عرفة المهلبي، قال: حدثني أبو عُتبة البصري، قال: قدم عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية البصرةَ، فأتاه الناس يكتبون عنه، فقال رجل حضره: أنشدني بعض ما قاله الفرزدق لجدي -يعني الشاعر المشهور جرير- وبعض ما قال جدي للفرزدق، فأنشده قول الفرزدق:

حلفت برب مكة والمصلى وأعناق الهدي مقلداتِ

لقد قلدت جلف بني كليب قلائد في السوالف باقياتِ

قلائد ليس من ذهب ولكن قلائد من جهنم منضجاتِ

حتى أتى عليها فجعل يتلظى، ثم قال: هات ما قال له أبي، فأنشده:

=

=

تُعَلِّلنـــا أُمامَـــةُ بالعِـــدات وما يـشفي القلـوبَ الـصادياتِ
ولــولا حبهــا وإلــهِ موســى لودَّعْـــتُ الـــصَبا والغانيـــاتِ
إذا رَضِيَتْ رَضِـيتُ وتعتريني إذا غـضبت كَهَيـضات الـسبات
ومـا صـبري عـن الـذلفاء إلا كصبر الحوت عـن مـاء الفـراتِ

ثم قال: ماذا؟ قد قطع الفرزدق عرضه وهو في أمامة؟ حتى إذا بلغ إلى قوله:

رجـوتم يـا بنـي وقبـان مـوتي وأرجـو أن تطـول لكـم حيـاتي
إذا اجتمعوا علي فخـل عـنهم وعـــن بـــازٍ يـــصيد حباريـــات
إذا طـرب الحـمام حمـام نجـد نعـــى جـــار الأقـــارع والحتـــات

فقام يحجل طرباً، وقال: أكله كله».

ونحوه قول العباس بن مرداس السلمي:

أشـــدُّ عـــلى الكتيبـــة لا أبـــالي أحتفـــي كـــان فيهـــا أم ســـواها

قال أبو هلال العسكري رحمه الله: «قالوا: هذا أشجع بيت قالته العرب».

كتاب ديوان المعاني ١/ ٢٦٧

ومنه قول الشاعر:

ولـو كنـت الحديـد لكـسروني ولكنـــي أشـــدَّ مـــن الحديـــد

وقول ابن الرومي:

ومن جاور البحرَ الغزيرَ مَجَمَّـه وســدَّ ســبيلَ المــاء فهــو غريقُــه

جم: كثر، والمجم: مجتمع الماء.

١٢٥- وإذا قيل له: إن فلاناً في فَضْلِهِ فُضِّل عليه من دونه أنشد:

كم قد رأينا من أسد بالت على رأسه ثعالب[١][٢]

(١) كذا ورد صدر هذا البيت . (هـ)

(٢) البيت من مُخَلَّع البسيط، وفي التمثيل والمحاضرة ص٨٨ جاء البيت لأبي سعيد المخزومي:

كم رأينا في الدهر من أسد بالت على رأسه ثعالِبُه

والمعنى أن الأمور قد تنقلب، فيكون الرأس ذنباً، والذنب رأساً، وقد يذل العزيز، ويضعف القوي.

وقريب منه قول الحارث بن نمر التنوخي:

وقد تقلب الأيام حالاتِ أهلها وتعدو على أسد الرجال الثعالبُ

وقول الآخر:

ولقد أراني والأسود تخافني فأخافني من بعد ذاك الثعلبُ

وقول أبي تمام:

فلا عجب للأُسْدِ إن ظفرت بها كلابُ الأعادي من فصيح وأعجم

ونحوه قول البحتري:

متى أرتِ الدنيا نباهة خاملٍ فلا تنتظر إلا خمولَ نبيه

وقول ابن الرومي:

إذا ذل في الدنيا الأعزاءُ واكتست أذلتها عِزّاً وساد مَسُودها
هناك فلا جادت سماء بجودها ولا أمرعت أرضٌ ولا اخضر

وقول الشيخ الخضر:

يسطو القويُّ على الضعيف صار الضعيف على القوي رئيسا

=

= وقول الشاعر:

قد يُحْطَمُ الفحل قسراً بعد عزتـه وقـد يُـرَدُّ عـلى مكروهـه الأسـدُ

وقال أبو العلاء المعري معبراً عن هذا المعنى:

إذا وصف الطـائيَّ بالبخـل مـادِرٌ وعـيَّر قُـسّاً بالفهاهـة باقـل
وقال السُّهى للشمس: أنت خفيـة وقال الدجى: يا صبح لونـك حائـل
وطاولت الأرض الـسماء سـفاهة وفاخرت الشُّهبَ الحـصى والجنـادل
فيـا مـوت زر إن الحيـاة ذميمـة ويـا نفـس جِـدِّي إن دهـرك هـازل

ويعني بالطائي: حاتم من أجواد العرب، ومادر: لقب أحد البخلاء في العرب من هلال ابن عامر بن صعصعة، ويضرب به المثل في البخل.

وقس: هو ابن ساعدة الإيادي من فصحاء العرب، والفهاهة: العي، وباقل: رجل يضرب به المثل في العي.

وإذا قيل له -أيضاً- أنشد :

صرت كـــأني ذُبالـــةٌ نُـــصبت تـــضيء للنـــاس وهـــي تحـــترق[1][2]

---

(١) للعباس بن الأحنف في ديوانه ١١١ والكامل ٥١٨ ليبسك، ومحاضرات الراغب ١: ٩ ، وديوان المعاني للعسكري ١: ٢٦٣.

الذبالة: الفتيلة التي تسرج في المصباح، وقبل البيت:

أُحْـرَمُ مـنكم بـما أقـول وقـد نـال بـه العاشـقون مـن عـشقوا

(هـ)

(٢) البيت من المنسرح، وقريب منه قول الشاعر:

وكنـت أعـزّ عـزاً مـن قنـوع تَعَوَّضـه صـفوحٌ مـن عقـوق

فـصِرْتُ أذلَّ مـن معنـىً دقيـقٍ بـه فقـرٌ إلى فهـم دقيـق

وقول بعض العبديين:

ألا بلغـا خُلَّتـي راشـداً وصـنوي قـديماً إذا مـا اتـصل

بـأن الـدقيق يهـيج الجليـل وأن العزيـز إذا شـاء ذل

١٢٦- وإذا استطال الليل أنشد:

أقـــول وليلتـــي تـــزداد طـــولاً أمـــا لليـــل ويحكـــم نهـــار[1][2]

---

(١) البيت لبشار، في المختار من شعر بشار ص٧ برواية: «أما لليل بعدهم نهار». (هـ)

(٢) البيت من الوافر، وقريب منه قول المهلهل -ولعل بشاراً أخذه منه-:

وصـــار الليـــل مـــشتملاً علينـــا كـــأن الليـــل لـــيس لـــه نهـــار

وقول جحظة البرمكي:

عـــدمت تَـــبَلُّج الإصـــباح فيـــه كـــأن الـــصبح جـــودٌ أو وفـــاء

وقول سويد بن أبي كاهل:

وإذا مـــا قلـــت ليـــل قـــد مـــضى عطـــف الأول منـــه فرجـــع

وقول عدي بن الرقاع:

وكـأن لـيلي حـين تغـرب شمـسه بـسواد آخـرَ مثلِـه موصـولُ

وقول بشار -وقد أبدع وأحسن التعليلَ وهو من أكثر من وصف الليل-:

خلـيلي مـا بـال الـدجى لـيس يـبرح وما بـال ضـوء الـصبح لا يتوضَّـحُ
أضَـلَّ النهـار المـستنير طريقَـه أم الـدهرُ ليـل كلـه لـيس يـبرحُ
أَظُنُّ الدجى طالت وما طالت الدجى ولكـنْ أطـال الليـلَ هـمٌّ مُـبرِّحُ

وقوله -أيضاً-:

يطـــوِّل الليـــلَ مراعاتُـــه فكـــلُّ أمـــرٍ لا يُراعَـــى قـــصيرْ

وهذا المضرب وشواهده قريب مما جاء في المضرب رقم ٣٠

١٢٧- وإذا مرض، وعاده عُوَّاده أنشد :

وهـــل هـــي إلا عِلَّـــةٌ بعـــد عِلَّـــةٍ إلى العِلَّـةِ الكـبرى وتلـك هـي التـي[1]

(١) البيت من الطويل، ومعناه: أن الإنسان في عمره ينتقل من مرض وضعف إلى مرض وضعف يسلمانه إلى المنية.

ونحوه ما ذكره المبرد أن سيبويه كان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

إذا بـــلَّ مـــن داءٍ بـــه خـــال أنـــه نجـا وبِـه الـداء الـذي هـو قاتلـه

انظر البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٦/ ١٧٩

وقول أحدهم:

مـا يُحـرز المـرء في أطرافِـه طرفـا إلا تخوَّفَـــه النقـــصانُ في طـــرفِ

وقول الآخر:

وبيْ مرضـان مختلفـان حـالي الـــ ـــعليلةُ مـــنهما تمـــسي بحـــالِ

إذا عالجـتُ هـذا جـف كبـدي وإن عالجـــتُ ذاك رَبَـــا طُحـــالي

وقول حميد بن ثور:

أرى بـدني قـد رابنـي بعـد صـحة وحـــسبك داءً أن تَـــصِحَّ وتـــسلما

ولـن يلبـث العـصران يـومٌ وليلـةٌ إذا اختلفـــا أن يـــدركا مـــا تـــيمما

وقول الخريمي:

إذا ما مـات بعـضُك فابـكِ بعـضاً فـبعض الـشيء مـن بعـضٍ قريـبُ

وقول ابن مناذر:

وكأنَّـــا للمـــوت ركـــبٌ يَجُبُّـــو ن سراعـــــاً لمنهـــــلٍ مـــــوردِ

وقول الآخر:

إن الفتـــى يـــصبح للأســـقام كـــالغرض المنـــصوب للـــسهام

=

= وقريب منه قول النمر بن تولب لما قيل له: كيف أصبحت يا أبا ربيعة فقال ارتجالاً على البديهة:

أصبحت لا يحمل بعضي بعضا أشكو العروقَ النابياتِ النبضا
كما تشكى الأرجي الغرضا كأنما كان شبابي قرضا

وقولُ معاوية ﷺ لما رأى هُزَالَه:

أرى الليالي أسرعت في نقضي أخذن بعضي وتركن بعضي
حَنَيْنَ طولي وتركن عرضي أقعدنني من بعد طول النهض

١٢٨- وإذا رأى رجالاً لا حمية ولا منعة فيهم أنشد :

إذا مـــا عُـــدَّ مـــثلَكم رجـــالٌ فـــما فـــضل الرجـــال عـــلى النـــساء[1]

---

(١) البيت من الوافر، ومعناه: إذا كانت هذه حالَكم من قلة الأنفة والحميةِ؛ فبأي شيء تفضلُون النساء؟!.

وقريب منه قول رجل من بني العنبر:

فليـت لي بهـم قومـاً إذا ركبـوا شـنوا الإغـارة فرسـاناً وركبانـا

ونحوه -وقيل أهجى ما قالته العرب- قول عويف القوافي:

اللـؤم أكـرم مـن وبْـرٍ ووالـده واللـؤم أكـرم مـن وبْـرٍ ومـا ولـدا

قـومٌ إذا جَـرَّ جـانٍ مـنهم أمنـوا من لـؤم أحـسابهم أن يقتلـوا قَـوَدا

وقول النجاشي في بني العجلان:

قُبَيِّلَـــة لا يغـــدرون بذمـــة ولا يظلمـون النـاس حبـةَ خـردل

ولا يَـــرِدُونَ المـــاءَ إلا عـــشيةً إذا صَـدَرَ الـوُرَّادُ مـن كـل منهـل

ولما قال ذلك استعدى بنو العجلان عليه عمرَ بنَ الخطاب ﷺ فقال: ما قال فيكم؟ فأنشدوه:

إذا الله عـادى أهـلَ لـؤم ورقـةٍ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

قال عمر مُهَوِّناً عليهم: ذاك أقل للسِّكَاك -يعني الازدحام- قالوا: وقد قال:

تعـاف الكـلاب الـضارياتُ ويأكلن من عوفٍ وكعـبٍ ونهـشلِ

قال: أحيا القوم قتلاهم، ولم يضيعوهم، قالوا: وقد قال:

ومـا سـمي العَجْـلانُ إلا لِقـيلِهِمْ خُذِ القعْبَ واحلب أيها العبد واعجلِ

=

= فقال عمر: خير القوم خادمهم، ثم بعث إلى حسان فسأله، فقال: ما هجاهم، ولكن سلح عليهم فتهدد النجاشي، وقال: إن عدت قطعت لسانك.

انظر كتاب ديوان المعاني ١/ ٣٧٢ـ٣٧٣ ، والعمدة ١/ ٥٢

وعكس ما مر في الشواهد من قلة الحمية والمنعة ـ قول الأعشى في مدح قوم لحميتهم ومنعتهم:

قومٌ بيوتُهُمُ أمْنٌ لجارهم يوماً إذا ضَمَّتِ المحضورةُ الفزعا

المحضورة: القوم الحاضرون، والفزع: الخوف.

١٢٩- وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً أنشد:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن بمنزلةٍ إلا رضيتَ بدونها[1]

---

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أن القناعة هي كنز الغنى، وهي التي تحسم مادة التسخط؛ فإذا شاء الإنسان أن يعيش غنيَّ القلب فليوطن نفسه على الرضا بالقليل، وعلى ما هو أقل مما هو فيه.

ونحوه قول ابن طباطبا العلوي:

كُنْ بما أوتيته مقتنعاً تَسْتَدِمْ عُشْرَ القنوع المكتفي
إن في نيلِ المنى وَشْكَ الردى وهلاك المرء في ذا الشَّرَفِ

قال الثعالبي عن هذين البيتين: "من أحسن ما سمعت في القناعة".

أحسن ما سمعت للثعالبي ص ٢٢

وقريب منه ما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة
فصيرها لنفسك رأسَ مالٍ وصيِّر بعدها التقوى بضاعةْ
تَحُزْ ربحاً وتغنى عن بخيل وتنعم في الجنان بصبر ساعة

وقول الشافعي رحمه الله:

أمتُّ مطامعي فأرحت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً ففي إحيائه عرضٌ مصون
إذا طمعٌ يَحِلُّ بقلب عبد عَلَتْه مهانة وعلاه هون

وقوله:

رأيت القناعةَ كنز الفتى فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك
وصرت غنيَّاً بلا درهم أَمُرُّ على الناس شبه الملك

١٣٠- وإذا رأى ذا ضغن صاحب آخر أنشد :

إذا أنت لم تسقم وصاحبتَ مُسْقَماً وكنت له خِدْناً فأنت سقيم[1]

---

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أنك إذا صاحبت المريض أعداك.

وكما تعدي الأمراض الحسية فكذلك تعدي الأمراض المعنوية، وذلك كعدوى الأخلاق.

ومنه قول أحدهم:

ولا ينفع الجرباءَ قربُ صحيحةٍ إليها ولكن الصحيحة تجرب

وقول الآخر:

الحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنو الصحاح إلى الجربى فتعديها

وعكسه قول بشار:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أَدْرِ أن الجودَ من كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي

وقول أبي تمام:

ولو لم يزعني عنك غيرك وازع لأعديتني بالحلم إن العلا تُعدي

١٣١- وإذا دخل عليه ثقيل أنشد :

أيـــا جـــبلي نعـــمانَ بـــالله خَلِّيـــا نـــسيمَ الـــصبا يَخْلُـــصْ إليَّ نـــسيمُها[1][2]

(١) البيت لمجنون ليلى، في الأغاني ١: ١٧٠/ ٥ : ٣٤ وحماسة ابن الشجري ١٦٨، وهو في أمالي القالي ٢: ١٨١ بدون نسبة.

وفي الأغاني ـ ونحوه في حماسة ابن الشجري: أن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحُّشه؛ ليمتاروا خوفاً عليه أن يضيع، ويهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان، فقال له بعض فتيان الحي: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بها.

قال : فأي الرياح يأتي من ناحيتها ؟ قالوا :الصبا.

قال: فوا الله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا؛ فأقام ومضوا، فامتاروا لأنفسهم ثم أتوا عليه، فأقاموا معه ثلاثة حتى هبت الصبا، ثم انطلق معهم، ففي ذلك يقول:

أيـــا جـــبلي نعـــمان بـــالله خليـــا نـــسيم الـــصبا يخلـــص إليَّ نـــسيمها
أجد بَرْدَهـا أو تـشفِ منـي حـرارةً عـــلى كبـــد لم يبـــق إلا صـــميمها
فـإن الـصَّبا ريـحٌ إذا مـا تنـسمت عـلى نَفْـسٍ محـزونٍ تجلَّـت همومُهـا

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومن عجيب الموافقات، ولطيف الاستشهاد أنه كان لابن الجوزي امرأةٌ تسمى (نسيم) فطلَّقها، ثم ندم على ما كان منه، فحضرت يوماً مَجْلِسَ وَعْظِه، فعرفها، واتفق أن جلست امرأتان أمامها حجباها عنه؛ فأنشد مشيراً إلى تينك المرأتين:

أيـــا جـــبلي نعـــمان بـــالله خليـــا نـــسيم الـــصبا يخْلُـــصْ إلي نـــسيمها

الكشكول ٢/ ٣١

وقريب منه في ذم الثقلاء قول البهاء زهير:

ربَّ ثقيـــل لـــبغض طلعتـــه أخـــشاه حتـــى كأنـــه أجـــلي
وكلـــما قلـــت لا أشـــاهده ألقـــاه حتـــى كأنـــه عمـــلي

=

= وقال آخر:

ثقيـــل يطالعنـــا في أَمَـــمْ إذا سره رغـــــم أنفـــــي أَلَمْ
لِطَلْعَتِـــه وخـــزةٌ في الحـــشا كـــوخزِ المـــشارط في المحـــتجم
أقـــول لـــه إذ بـــدا طالعـــاً ولا حملتـــــــه إليَّ قـــــــدم
فقـدتُ خيالَـك لا مـن عمـىً وأذني كلامَـك لا مـن صـمم

وقال بشار:

ربـما يثقـل الجلـيس وإن كـا ن خفيفـــاً في كفـــة الميـــزان
ولقـد قلـت حـين وتَّـدَ في الأر ض ثقيـلٌ أربـى عـلى ثهـلان
كيـف لم تَحْمِـلِ الأمانـةَ أرضٌ حملـت فوقهـا أبـا مـروان

وقال:

وكيف يَخِفُّ لي بَصَرِي وسـمْعي وحـولي عـسكران مـن الثقـال

وقال الثعالبي: «ومن أحسن ما قيل في الثقيل قول إبراهيم:

إذا أَقْبَلَ لا أقـبـلَ قـلنـا كُلُّنا آه

أحسن ما سمعت ص ١٣١

وقال ابن قتيبة: أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي، قال: حدثني صدقة ابن خالد قال: أتيت الكوفة، فجلست إلى أبي حنيفة، فقام رجل من جلسائه فقال:

فـما الفيـل تحملـه ميتـاً بأثقـل مـن بعـض جلاسـنا

فما حملت عنه شيئاً. عيون الأخبار ١/ ١٣٠

وقال أحدهم وقد ذكر وصفةً للتخلص من الثقيل:

إذا استثقلت أو أبغضت خلقاً وسرك بُعْـده حتـى النفـاد
فَـشَرِّده بقـرضِ دريهـمات فـإن القـرضَ داعيـةُ الفـساد

=

= وقال آخر في حاجبين ثقيلين:

ولي صـــاحبان عـــلى هـــامتي جُلوسُـــهما مثـــل حـــدِّ الوتـــدْ
ثقـــيلان لم يعرفـــا خِفَّـــةً فهـــذا الـــصداع وذاك الرمـــدْ

وقال ابن الرومي في ثقيل:

أثقـــل مـــن طلعـــة يـــوم الـــسبت عـــلى ابـــن خمـــس وعـــلى ابـــن ســـت

وكان يقال في الأمثال: (أثقل من يوم السبت على الصبيان) .انظر التمثيل والمحاضرة ص٢٢٠

١٣٢- وإذا جاد عليه بنزر يسير أنشد :

توتيــك نــزراً قلــيلاً وهــي خائفــة كــما يخــاف مــسيسَ الحيــة الفَــرِقُ[1][2]

---

(١) البيت لابن هرمة. المختار من شعر بشار ٩٦ .

وصدره فيه : «تبدي بذاك سرورا وهي مشفقة كما يهاب».

في الأصل: «وهي جائعة» ، صوابه: ما أثبت.

المسيس: المس . والفَرِق : الخائف الفزع . (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول أحدهم:

فَرِشْـني بـسيب لا أكـونن ومـدحتي كناحــت يومــاً صــخرة بعــسيل

والمعنى: رِشْني: أي أعطني أو أكرمني، بسيب: أي بعطاء، والعسيل: مكنسة العطار.

يعني: لا تَجعلني كالذي ينحت الصخر القاسي بمكنسة العطار اللينة؛ فإنه لن يحصل على مراده.

وهذه جمعية[١] لم أظفر بمثلها، فرحم الله من فهمها وحفظها، وأورد كلَّ بيت في محلِّه[٢]، ليجلَّ عند خِلِّه[٣].

---

(١) يقصد بالجمعية تلك المضارب والشواهد التي أوردها.

(٢) أي جعل المضرب مناسباً للشاهد، والشاهد مناسباً للمضرب.

(٣) أي ليكبر في عيون أحبائه، والمتلقين عنه.

وبهذا ينتهي متن أبيات الاستشهاد، وشرحها؛ فعسى الله أن ينفع بالمتن، وشرحه؛ إنه سميع قريب.